

# نماذج لاتفاق الزيدية والمعتزلة

## في تفسير آيات العقيدة

(دراسة مقارنة بتفاسير أهل السنة)

د. الزبير صالح محمد أحمد الوصابي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية التربية - عبس - جامعة حجة

كان لعلماء الزيدية دور كبير في تدوين العلوم الشرعية، برز من خلال الموروث العلمي الذي خلفوه، سواء فيما يخص علم الكلام، غير أن جهودهم في التفسير كانت محدودة كماً وكيفاً، أما الكم فلم نر من مؤلفاتهم المطبوعة سوى عدد محدود، بينما بقي عدد منها مخطوطاً يحتاج لتحقيق ونشر. أما كيف فقد تأثرت تلك الكتب وتشربت بمعتقدات وآراء كانت محل نقد وتوقف، وانتقاد للعلماء السابقين والمعاصرين؛ نظراً لتوافقها مع عقائد فرقة المعتزلة، وهي فرقة تغرب في تفسيرها بتعلق بالله تعالى وأسماؤه وصفاته، متأثرة بالفلسفات اليونانية، ولذا نجد في بعضها من الإيغال في الغرابة ما قد يوصلها إلى الانحراف العقدي.

ولذلك رأيت من المطلوب إعداد بحث يبين موافقة الزيدية للمعتزلة في هذا الجانب، أذكر فيه نماذج تثبت هذا التوافق. وتكون هذه النماذج دالة على غيرها، وجعلت هذه النماذج التفسيرية فيما يتعلق بالإيمان، وما يتعلق بصفات الله عز وجل، مأخوذة من تفاسير الزيدية، كما يقوم الباحث عند ذكر النماذج بحكاية قولهم أو من قال به منهم، ثم يتبع ذلك بنقل ما يوافقهم من تفاسير المعتزلة، ثم من خالفهم أو وافقهم من المفسرين من أهل السنة، ثم في بعض الأحيان أتبع ذلك بذكر كلام أصحاب العقائد من أهل السنة، متحاشياً لاستعراض الأدلة خشية الإطالة، كما ختم الباحث هذا البحث بخاتمة ذكر فيها أهم النتائج والتوصيات التي وصل إليها، وذيّلها بالمصادر والمراجع.

### الملخص:

**Abstract:**

Scientists Zaidi had a big role in the codification of forensic science protrudes through the scientific heritage which his successors. both in terms of theology. however. their interpretation was limited in quantity and quality. but quantity did not see their books printed only a limited number of manuscript remained a number of them need to achieve and deploy. but qualitatively

Those books were affected beliefs and opinions it has been the subject of criticism and stop criticizing the former and contemporary scholars because of the surprisingly many of them. given the strength of put a damper on some of them express to some extent may get us to a certain extent deviation doctrinal. so I've seen of this explanatory statement to be oddity relating to faith both with regard to faith or with respect to the attributes of God he wrote interpretations of Zaydi imams. it also researcher at the mention of wacky tale told by saying I believe & then followed that statement by saying of the pious of the commentators of the Sunnis. and sometimes followed that up by mentioning the words faiths Sunnis to reviewing their evidence and their views. as seal researcher conclusion of this research mention the most important conclusions and recommendations reached by the tail sources and references.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فإن الاعتناء بكتاب الله تعالى من أفضل العلوم وأجلها؛ لتعلقه بخير الكتب التي تحكي كلام الله تعالى، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتشريع الله تعالى لعباده إلى يوم الدين، قال تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) (ص: 29).

وقد اعتنى علماء الأمة بالتفسير عبر القرون، ومصنفاً بهم بحمد الله كثيرة مبثوثة في أنحاء العالم الإسلامي، ومناهجهم في التفسير معروفة، وأعني بذلك أهل السنة والجماعة من المفسرين. ولا يخفى أن في الأمة فرقاً كثيرة، تختلف قراباً وبعداً من أهل السنة والجماعة، ومن أقرب الفرق إلى أهل السنة والجماعة فرقة «الزيدية» من فرق الشيعة<sup>(1)</sup>، وهي فرقة لها انتشار في شمال اليمن، وقد ظهر فيها علماء كانت لهم عناية بتفسير القرآن العظيم، وعند النظر في تفاسيرهم نجد لها قرابة من تفاسير أهل السنة، بل إنها تنقل عنها كثيراً، ولا تكاد تخالفها إلا في النزر اليسير، وهذا باستثناء تفسيرهم لآيات العقيدة، فإنهم فيها على منهج المعتزلة.

وقد عازمت على كتابة هذا البحث في اتفاق الزيدية مع المعتزلة في التفسير، وذلك فيما يتعلق بالعقيدة، مع مقارنة ذلك بتفسير أهل السنة، حيث وجدت أن جل تفسيراتهم لآيات العقيدة غريبة موافقة للمعتزلة، ولم يخالفوهم إلا في النزر اليسير لبعض مفسريهم فقط، وهذا ما سنراه جلياً في هذا البحث. أهمية الموضوع:

- 1) تتجلى أهمية الموضوع في أنه يمثل جزءاً من تتبع غرائب التفسير عموماً، وعند علماء الزيدية خصوصاً، وهم فرقة منتشرة في بلاد اليمن.
- 2) أن هذا البحث يوضح مسلك الزيدية في العقيدة، ومنهجهم في التفسير؛ خاصة أنه ينتشر بين الناس أن الزيدية أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة، فيتوهم البعض أنهم قريبون من أهل السنة في جميع أبواب الاعتقاد، ولا يدرون أن ذلك فيما يتعلق بالصحابة ليس إلا..
- 3) أن هذا الموضوع يتعلق بضئلة لها انتشار واسع في اليمن؛ خاصة في الأعوام الأخيرة التي تسارعت فيها الأحداث السياسية، وبرزت إلى الوجود قوة تدعي أنها المتحدث باسم الزيدية.
- 4) تعلق هذا الموضوع بكتاب الله تعالى وتفسيره، وكيف تتعامل معه الفرق المختلفة تفسيراً وبياناً. أسباب اختيار الموضوع:

- 1) أن الزيدية أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة والجماعة، وكتبها تدرس في بعض المدارس في اليمن، بل وينقل عنها في مناهج بعض الجامعات اليمنية، حيث يتواجدون؛ وهذا ما دفع الباحث إلى التنبه إلى أن هناك من تفاسير الزيدية ما خرج عن أصول الزيدية الحقيقية، والميل إلى التفسير المعتزلي.
- 2) أن تفسير آيات العقيدة عند الفرق المخالفة لأهل السنة لم يعط حقه من البحث والبيان، ولم يول العناية التي يستحقها.

- 3) الوجود الواقعي للزيدية وكتبها في اليمن، ووصول منهجها إلى أيدي بعض المثقفين والدارسين، دون أن

(1) سيأتي ذكر أقوال العلماء في ذلك.

يوجد لدى البعض منهم الملكة العلمية التي يميزون بها بين المستقيم والمعوج. (4) رأيت بعض الأبحاث التي تتعلق بالتفسير، وإذا بها تنقل نقلاً مختلطاً من كتب أهل السنة وكتب غيرهم؛ مما حداني إلى البحث في الموضوع؛ للتنبيه على وجوب توخي الحذر عند النقل من الكتب، خاصة فيما يتعلق بكتاب الله تعالى، وبالاعتقاد الواجب.

الدراسات السابقة :

لا توجد دراسات سابقة في هذا الموضوع، فقد بحثت في المكتبات والمراكز البحثية، كما بحثت على الشبكة العنكبوتية، فلم أجد من تقدم في بحث هذا العنوان.

وغاية ما وقفت عليه أنه توجد رسالة علمية بعنوان: «تفاسير الزيدية - عرض ودراسة، للدكتور/ محمد بن صالح المديفر، ولكني - للأسف الشديد- لم أجده في المكتبات، ولا على الشبكة العنكبوتية. ولكني استفدت من ثلاثة كتب، وهي:

- (1) «الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير لعدنان محمد زرزور»، وهي رسالة ماجستير.
  - (2) الجزء الخامس من تحقيق عبد الله محمود شحاته لتفسير مقاتل بن سليمان، وهي عبارة عن دراسة عن مقاتل بن سليمان ومنهجه في تفسير القرآن الكريم.
  - (3) كتاب بعنوان "دراسة حول تفسير الأعمق" لا يوجد عليه اسم المؤلف.
- ولا أعلم كتاباً أو دراسة حول هذا الموضوع غير ما ذكرت. والله تعالى أعلم.
- حدود البحث:

سأقتصر في بحثي هذا على نماذج من توافيق الزيدية مع المعتزلة في التفسير المتعلق بالعقائد.

#### صعوبات البحث:

أهم الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث:

- (1) أغلب تفاسير الزيدية غير مطبوعة، وقلة منها مطبوعة.
- (2) عدم تمكني من العثور على تفسير الحاكم الجشمي.
- (3) التفاسير الزيدية المطبوعة عبارة عن تفاسير لبعض الأجزاء والسور فقط، وكل ما وجدته كاملاً منها اثنان فقط، وهما: تفسير مقاتل بن سليمان، وتفسير الأعمق.
- (4) أيضاً هناك تفسيران آخران لكنهما نفس التفسير الراهضي، وهما: تفسير فرات الكوفي، وتفسير الجبري، رغم أن صاحبيهما معدودان من الزيدية.

#### منهجية البحث:

- (1) جمع مفردات البحث عند الزيدية من كتب التفاسير الزيدية حسب ما يتيسر منها؛ بسبب قلة المراجع الزيدية المطبوعة والمتوفرة، كما ذكرت في صعوبات البحث.
- (2) سأعتمد في بحثي على المنهج الاستقرائي التبعي غير التام، والمنهج المقارن. فأقوم بتتبع نماذج من آيات العقيدة في الأبواب المختلفة، وذلك من تفاسير الزيدية، ثم أقرنها مع تفاسير المعتزلة مبيناً ما بين تفاسيرهم من التوافق، ثم أقرن ذلك بنماذج من تفاسير أهل السنة والجماعة.

- 3) أقوال الحاكم الجشمي أنقلها من كتاب «الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير» لعدنان محمد زرزور، وهو عبارة عن رسالة ماجستير، وذلك بسبب عدم العثور على تفسير الحاكم الجشمي.
- 4) أبدأ أولاً بذكر قول الزيدية أو من قال به منهم، ثم أتبعه ببيان موافقتهم للمعتزلة، ثم ببيان مخالفتهم أو موافقتهم لأهل السنة، ثم في بعض الأحيان أتبع ذلك بذكر كلام أصحاب العقائد من أهل السنة.
- 5) إن كان هناك من الزيدية من خالف هذا القول أو رد عليه فقد أذكره بعد ذكر قول الزيدية، وقد أذكره مع ذكر المفسرين من أهل السنة المخالفين لقول الزيدية.
- 6) أعزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها.
- 7) أخرج الأحاديث الواردة في البحث من كتب السنة النبوية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بذكر الحديث، وإن كان في غيرهما خرجته من مصادر الحديث الأصلية مع ذكر درجته من الصحة والضعف.
- 8) أهمل ذكر أقوال الفرق ومذاهبهم، ولا أذكر إلا من وافق الزيدية في مذهبهم في المسألة في الغالب رغبة في الاختصار.
- 9) أترجم للأعلام الذين أنقل عنهم في البحث، ولا أترجم لغيرهم لكثرتهم.
- 10) لم أذكر بيانات النشر لأي مصدر أو مرجع في حواشي البحث خوفاً من التطويل، وسأذكر ذلك في نهاية البحث في فهرس المصادر والمراجع.
- 11) ختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، يلي ذلك المراجع والمصادر.

### خطة البحث:

- لقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة؛ أما المقدمة فقد احتوت على أهمية البحث، وأسباب اختياره، والمنهجية المتبعة فيه. وأما الخاتمة فقد تناولت فيها أهم النتائج، ثم يلي ذلك فهرس المراجع والمصادر، وقد قسمت بحثي على النحو التالي:
- المبحث الأول: التعريف بالتفسير والزيدية والمعتزلة وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: التعريف بالزيدية، وفيه ستة فروع:
- الفرع الأول: التسمية والنشأة.
- الفرع الثاني: التعريف بالإمام زيد مؤسس الزيدية.
- الفرع الثالث: أشهر معتقدات الزيدية.
- الفرع الرابع: فرق الزيدية.
- الفرع الخامس: أماكن تواجد الزيدية.
- الفرع السادس: كتب التفاسير الزيدية.

المطلب الثالث: التعريف بالمعتزلة، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: التعريف بفرقة المعتزلة.

الفرع الثاني: أهم معتقدات المعتزلة.

الفرع الثالث: أهم كتب التفسير عند المعتزلة.

- المبحث الثاني: نماذج من توافق التفسير عند الزيدية والمعتزلة فيما يتعلق بالعقائد وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نماذج من توافق الزيدية مع المعتزلة في التفسير فيما يتعلق بالإيمان.

المطلب الثاني: نماذج من توافق الزيدية مع المعتزلة في تفسير ما يتعلق بصفات الله عز وجل.

## المبحث الأول: التعريف بالتفسير والزيدية والمعتزلة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: التعريف بالزيدية.

المطلب الثالث: التعريف بالمعتزلة.

### المطلب الأول: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف التفسير لغة:

التفسير لغة: مشتق من الفسر، وهو الإبانة وكشف المغطى، أو كشف المعنى المعقول، يقال: فسر الشيء يفسره ويفسره، وفسره: أبانه، ويقال: فسرت الشيء فسراً: بينته وأوضحته، واستفسرته كذا: سألته أن يفسره لي. والتفسرة: الشرح والبيان، وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تفسرته<sup>(2)</sup>. وعلى هذا يمكن تعريف التفسير لغة بأنه: كشف المعنى المعقول، أو هو: كشف المراد عن اللفظ المشكل<sup>(3)</sup>.

ثانياً: تعريف التفسير اصطلاحاً:

اختلف العلماء في تعريف التفسير، وكل عالم يعرف علم التفسير بما يراه الأقرب والأدق في معرفة المعاني القرآنية، وينظر من زاوية تختلف عن الزاوية الأخرى.

فالبعض عرف التفسير بأنه: العلم الذي يبحث عن أحوال القرآن، من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية<sup>(4)</sup>.

والبعض الآخر اعتبره علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب

(2) انظر: لقاموس المحيط للفيروز آبادي (ص: 456)، تاج العروس للمرتضى الزبيدي (324/13)، المصباح المنير للفيومي (472/2)، مادة: فسر.

(3) انظر: تاج العروس للمرتضى الزبيدي (324/13).

(4) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (3/2).

مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومضرها، وحلالها وحرامها، ووعداها ووعيدها، وأمرها ونهيها<sup>(5)</sup>.

ويلاحظ على هذا التعريف أنه أدخل في تعريف التفسير بعض أنواع علوم القرآن الكريم.

ومن التعريفات الاصطلاحية للتفسير ما يلي:

1- التفسير: توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة<sup>(6)</sup>.

2- التفسير: علم يفهم به القرآن بمعرفة معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه وعظاته وعبره<sup>(7)</sup>.

3- التفسير: العلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها<sup>(8)</sup>.

وكل هذه التعريفات الاصطلاحية لتفسير القرآن الكريم تبين أن المقصود بتفسير القرآن الكريم هو: توضيح معاني القرآن الكريم وما انطوت عليه آياته من عقائد وأسرار وحكم وأحكام<sup>(9)</sup>، وكذلك شرح ما جاء مجملاً من القصص في الكتاب الكريم، وتعريف ما تدل عليه ألفاظه الغريبة، وتبيين الأمور التي أنزلت بسببها الآية<sup>(10)</sup>.

المطلب الثاني: تعريف الزيدية وأهم فرقها وتفاسيرها:

وفيه ستة فروع:

الفرع الأول: التسمية والنشأة:

يعود أصل تسمية الزيدية إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى، وذلك أنهم ذهبوا إلى أن له الإمامة بعد موت أبيه<sup>(11)</sup>، فسموا زيدية نسبة إليه، قال الدكتور غالب بن علي عواجي: «وقد اختلف الشيعة في أمر زيد بن علي ومحمد بن علي<sup>(12)</sup> أيهما أولى بالإمامة بعد أبيهما؟ فذهبت طائفة إلى أنها لزيد فسموا زيدية»<sup>(13)</sup>.

وهم أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية، وأكثر اعتدالاً، وتشيعهم نحو الأئمة لم يتسم

(5) البرهان في علوم القرآن للزركشي (2/148).

(6) التعريفات للجرجاني (ص 63).

(7) المقدمات الأساسية في علوم القرآن لعبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي (ص 279).

(8) معجم علوم القرآن لإبراهيم محمد الجرمي (ص 98).

(9) المعجم الوسيط، مادة: فسر (2/688).

(10) تاج العروس من معاني القاموس للمرتضى الزبيدي، مادة: فسر (13/323-324).

(11) قال ابن أبي الخير العمراني: قالت فرقة منهم وهم الزيدية: الإمامة لعلي، ثم بعده ابنه الحسن، ثم ابنه الحسين، ثم علي بن الحسن، ثم زيد بن علي، ثم يحيى بن زيد. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لابن أبي الخير العمراني (3/827). وخالفه سعود بن عبد العزيز الخلف في مقدمة تحقيقه لكتاب الانتصار هذا، فقال: الزيدية تميزت في أول ظهورها بمسألة الإمامة، وأنهم يرونها كما تراها الشيعة الاثني عشرية في علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين بن علي، ثم يختلفون عن الاثني عشرية بأن الإمامة تثبت لكل من قام ودعا الخلق إلى طاعة الله تعالى، وكان من ولد الحسن أو الحسين، وهو جامع لخصال العدل والعلم، فلماذا قالوا: بإمامة زيد بن علي بعد الحسين، ولم يعدوا أباه زين العابدين ولا أخاه محمد الباقر ولا ابن أخيه جعفر الصادق من أئمتهم؛ لأنهم لم يخرجوا ولم يدعوا لأنفسهم. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لابن أبي الخير العمراني (1/72).

(12) هو: محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، هاشمي قرشي، أبو جعفر الباقر؛ خامس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان ناسكاً عابداً، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال. ولد بالمدينة، وتوفي بالحميمة ودفن بالمدينة سنة 114هـ. انظر: لأعلام للزركلي (6/270).

(13) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام للدكتور غالب عواجي (1/335).

بالغلو؛ بل اعتبروهم أفضل الناس بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، واعتدلوا في مواقفهم تجاه الصحابة، فلم يكفروهم، وخصوصاً من بايعهم علي رضي الله عنه واعترف بإمامتهم<sup>(14)</sup>، إلا الجارودية منهم، كما سيأتي عند تفصيل فرق الزيدية<sup>(15)</sup>.

ويعتقد الزيدية أن ميزتهم التي يفخرون بها هي عدم اتباع إمام معين كما تتبع الحنفية أو المالكية أو غيرهم أئمتهم، ويعتبرون أن الإمام زيد بن علي رحمه الله تعالى هو فاتح باب الجهاد والاجتهاد، ولذا لا يجوز للعالم المجتهد من أهل البيت تقليد الإمام زيد في الأصول ولا الضروع، مع العلم أنه يجب عليه احترام رأي الإمام زيد، والنظر إلى رأيه كمؤيد أو مرشد<sup>(16)</sup>. فالتسمية بالزيدية تسمية سياسية في الأصل، ولا دخل لها فيما تعارف عليه الناس بالنسبة للمذهبية<sup>(17)</sup>، فنسبة الزيدية إلى الإمام زيد بمعنى النسبة المذهبية المعروفة غير صحيحة. وهذا ما يتوافق مع واقع الزيدية اليوم، فإنك تجد كثيراً من المسائل التي وردت عن الإمام زيد في العقيدة والفقه لا يعمل بها أحد من الزيدية. بل كون التسمية سياسية هو الواقع؛ حيث إنه لما قام الإمام زيد بن علي سمي كل من التفت حوله من الشيعة والسنة والخوارج أيضاً زيدية، وبعد فشل الثورة رجع كل قوم إلى فرقته، أي أن ثورة الإمام زيد كانت ثورة شاملة لجميع أبناء الأمة ضد الظلم الأموي<sup>(18)</sup>.

ولما قتل زيد بن علي وصلب قام بالإمامة بعده ابنه يحيى بن زيد، ومضى إلى خراسان، واجتمعت عليه جماعة كثيرة، ولكنه قتل كما قتل أبوه، وصلب كما صلب أبوه. وقد فوض الأمر بعده إلى الإمامين محمد بن عبد الله الإمام<sup>(19)</sup>، وأخوه إبراهيم بن عبد الله الإمام<sup>(20)</sup>، وخرجا بالمدينة، ومضى إبراهيم إلى البصرة، واجتمع الناس عليهما، وقتلا أيضاً.

**ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان صاحبهم الناصر الأطروش<sup>(21)</sup>، فطلب**

14 نفس المرجع السابق.

15 وقد نسب إحصان إلهي ظهير الطعن في الصحابة إلى أكثر الزيدية، فقاتل رحمه الله تعالى: ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامة المنصور، وطمعت في الصحابة طمن الإمامية. الشيعة والتشييع - فرق وتاريخ لإحصان إلهي ظهير، ص (208).

16 التعرف على زيدية اليمن ليحيى طالب مشاري الشريف (ص 7).

17 الزيدية النظرية والتطبيق ليحيى بن عبد الكريم الفضيل (ص 7).

18 التعرف على زيدية اليمن ليحيى طالب مشاري الشريف (ص 8-9).

19 هو: محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، الملقب بالارقط وبالمهدي وبالنفس الزكية: أحد الأمراء الأشراف من الطالبين، ولد ونشأ بالمدينة، وكان يقال له صريح قريش، لأن أمه وجداته لم يكن فيهن أم ولد، وسماه أهل بيته بالمهدي. وكان غزير العلم، فيه شجاعة وحزم وسخاء. ولما بدأ الانحلال في دولة بني أمية بالشام، اتفق رجال من بني هاشم بالمدينة على بيعته سرا، وفيهم بعض بني العباس، ثم ذهب ملك الأمويين، وقامت دولة العباسيين، فتخلف هو وأخوه إبراهيم عن الوفود على السفاح، ثم على المنصور. ولم يخف على المنصور ما في نفسه، فطلبه وأخاه، فتواريا بالمدينة، فقبض على أبيهما واثني عشر من أقاربهما، وعذبهم، فماتوا في حبسه بالكوفة بعد سبع سنين. وقيل: طرحهم في بيت وطين عليهم حتى ماتوا. وعلم محمد (النفس الزكية) بموت أبيه، فخرج من مخبئه ثائراً، في مئتين وخمسين رجلاً، فقبض على أمير المدينة، وبايعه أهلها بالخلافة. وأرسل أخاه إبراهيم إلى البصرة فطلب عليها وعلى الأهواز وفارس. وبعث الحسن بن معاوية إلى مكة فملكها. وبعث عاملاً إلى اليمن. وبعد وقائع تفرق عنه أكثر أنصاره، فقتل في المدينة سنة (145هـ). انظر: الأعلام للزركلي (220/6).

20 هو: إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب: أحد الأمراء الأشراف الشجعان. خرج بالبصرة على المنصور العباسي، فبايعه أربعة آلاف مقاتل، وخافه المنصور فتحول إلى الكوفة. وكثرت شيعة إبراهيم فاستولى على البصرة وسير الجموع إلى الأهواز وفارس وواسط، وهاجم الكوفة فكانت بيته وبين جيوش المنصور وقائع هائلة، إلى أن قتله حميد بن قحطبة، وكان إبراهيم شاعراً عالماً بأخبار العرب وأيامهم وأشعارهم. وممن أزره في ثورته الإمام أبو حنيفة، أرسل إليه أربعة آلاف درهم لم يكن عنده غيرها، استشهد سنة (145هـ). انظر: الأعلام للزركلي (48/1).

21 الناصر: الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن زين العابدين العلوي الهاشمي، أبو محمد، ثالث ملوك الدولة العلوية بطبرستان، كان شيخ الطالبين وعالمهم، ولد بالمدينة سنة (225هـ)، اتفق الزيدية والإمامية على نعمته بالإمامة، وتجاذباها، ولي الإمامة بعد مقتل سلفه محمد بن زيد سنة (287هـ).



مكانه ليقتل، فاخفى واعتزل الأمر، وصار إلى بلاد الديلم والجيل ولم يتحلوا بدين الإسلام بعد، فدعا الناس إلى الإسلام على مذهب زيد بن علي، فدأوا بذلك ونشئوا عليه، وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين<sup>(22)</sup>.

### الفرع الثاني: التعريف بإمام الزيدية ومؤسسها زيد بن علي:

هو زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد سنة (80 هـ) وقتل في ثاني صفر سنة (122هـ)، كان ذا علم وجمالة وصلاح<sup>(23)</sup>، ولما كان مذهبه أن الإمامة في أولاد فاطمة، وأن من خرج منهم يكون إماماً تجب طاعته إذا تحلى بالعلم، وعليه أن يحصل الأصول والفرع حتى يتحلى بالعلم، فتتلمذ في الأصول لواصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة ورئيسهم<sup>(24)</sup>، وتدارس معه العلوم، فتأثر به وبأفكاره التي نقل بعضها إلى الفكر الزيدي، فاقتبس منه الاعتزال، وصار أصحابه كلهم معتزلة. وقد جرت بينه وبين أخيه محمد بن علي الملقب بالباقر مناظرات كثيرة بسبب تتلمذه على واصل بن عطاء<sup>(25)</sup>.

وكان من مذهبه جواز إمامة المفضل مع قيام الأفضل، وكذلك يجوز أن يكون المفضل إماماً والأفضل قائم، فيرجع إليه في الأحكام، ويحكم بحكمه في القضايا، ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه حتى أتى قدره عليه، فسميت رافضة<sup>(26)</sup>. وتنقل في البلاد الشامية والعراقية باحثاً عن العلم أولاً، وعن حق أهل البيت في الإمامة ثانياً، وكان تقياً ورعاً عالماً فاضلاً مخلصاً شجاعاً وسيماً مهيباً ملماً بكتاب الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاغ نظرية شيعية في السياسة والحكم، وقد جاهد من أجلها وقتل في سبيلها، وكان يرى صحة إمامة الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم جميعاً، وقاد ثورة شيعية في العراق ضد الأمويين لما دفعه أهل الكوفة لهذا الخروج، ثم ما لبثوا أن تخلوا عنه وخذلوه عندما علموا بأنه لا يتبرأ من الشيخين ولا يلعنهما، بل يترضى عنهما، فاضطر لمقابلة جيش الأمويين وما معه سوى خمسمائة فارس، فأصيب بسهم في جبهته

وكانت طبرستان قد خرجت من يده، فلم يستطع الإقامة فيها، فخرج إلى بلاد الديلم، فأقام ثلاث عشرة سنة. وكان أهلها مجوساً، فأسلم منهم عدد وافر. وبنى في بلادهم المساجد، ونشر بينهم المذهب الزيدي. ثم ألف منهم جيشاً، وزحف به إلى طبرستان، فاستولى عليها، ولقب بالناصر. وكان يدعى الأطروش لصمم أصابه من ضربة سيف في معركة. وكان شاعراً مقلماً، علامة إماماً في الفقه والدين. صفت له الأيام ثلاث سنوات، وتوفي في طبرستان سنة (304هـ). له عدة كتب، منها تفسير في مجلدين، احتج فيه بألف بيت من ألف قصيدة. الأعلام للزركلي (200/2).

(22) الملل والنحل للشهرستاني (156/1).

(23) سير أعلام النبلاء للذهبي (390-389/5).

(24) الملل والنحل للشهرستاني (155/1). ولكن قال ابن أبي الخير العمراني رحمه الله تعالى: وهذا لم ينقل عن زيد بن علي بسند يطمأن إليه، كما أن الشهرستاني ذكر أن محمد الباقر اعترض على أخيه زيد في أخذه عن واصل؛ لأن واصل يرى أن علياً خطأ في قتاله أهل الجمل وصفين، وأن كلا الفريقين على خطأ. وهذا وإن لم ينقل بسند صحيح فإن فيه دلالة على مانع صحيح يمنع زيداً من الأخذ عن واصل. والله أعلم. الانتصار في الرد على القدرية المعتزلة الأشرار لابن أبي الخير العمراني (72/1).

(25) من هذه المناظرات ما ذكره إحسان إلهي ظهير في كتابه الشيعة والتشيع - فرق وتاريخ: جرت بينه وبين أخيه محمد الباقر مناظرة لا من هذا الوجه [يعني: التبرؤ من الشيخين]، بل من حيث كان يتلمذ لواصل بن عطاء، ويقتبس العلم ممن يجوز الخفاء على جده في قتال الناكثين والقاسطين، ومن يتكلم في القدر على غير ما ذهب إليه أهل البيت، ومن حيث إنه يشترط الخروج شرطاً في كون الإمام إماماً. حتى قال له يوماً: على قضية مذهبك والدك ليس بإمام، لأنه لم يخرج قط، ولا تعرض للخروج. الشيعة والتشيع - فرق وتاريخ لإحسان إلهي ظهير، ص (207-208). وذكر هذه المناظرة باختصار: الشهرستاني في الملل والنحل (156/1).

(26) الملل والنحل للشهرستاني (156-155/1).

أدى إلى وفاته عام (122هـ)<sup>(27)</sup>.

### الفرع الثالث: أشهر معتقدات الزيدية:

للمذهب الزيدي معتقدات تميزه عن غيره، ومن أهم هذه المعتقدات:

- 1 - المشترك بين الزيدية أن الإمام علياً كان الأولي بالخلافة، وأن أبا بكر ومن معه أخطأوا في صرفها عنه<sup>(28)</sup>.
- 2 - وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند تكامل شروطه، وقد اتسم الزيدية بهاتين الصفتين منذ العهد الأول وإلى اليوم، وصار الخروج على الظلمة شعاراً يميزون به بين طوائف المسلمين<sup>(29)</sup>.
- 3 - أن كل فاطمي -أي: من أولاد فاطمة رضي الله عنها- عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة يكون إماماً واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن أم من أولاد الحسين رضي الله عنهما<sup>(30)</sup>، وهذا مجمع عليه في جميع فرق الزيدية، قال الإمام ابن حزم<sup>(31)</sup>: «وجميع الزيدية لا يختلفون في أن الإمامة في جميع ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه من خرج منهم يدعو إلى الكتاب والسنة وجب سل السيف معه»<sup>(32)</sup>.
- 4 - لا يجوزون ثبوت الإمامة في غير أولاد فاطمة رضي الله عنها.
- 5 - لا يشترط لصحة الإمامة عندهم أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق، وإنما من كان من أولاد فاطمة وفيه شروط الإمامة كان أهلاً لها.
- 6 - يجوزون خروج إمامين في وقت واحد في قطرين مختلفين، ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة<sup>(33)</sup>.
- 7 - يجوزون إمامة المفضول مع وجود الأفضل، بشرط أن يرجع في الأحكام إلى الأفضل، ويحكم بحكمه في القضايا<sup>(34)</sup>.
- 8 - معتزلة في باب الصفات، والاختيار في الأعمال، ومرتكب الكبيرة عندهم في منزلة بين المنزلتين.
- 9 - باب الاجتهاد مفتوح لكل من يريد الاجتهاد، ومن عجز عن ذلك قلده، وتقليد أهل البيت أولى من تقليد غيرهم.
- 10 - لا يقولون بعصمة الأنمة أو وصايتهم من النبي صلى الله عليه وسلم.

(27) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، صادر عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي (76/1).

(28) الزيدية قراءة في المشروع وبحث في المكونات لعبد الله بن محمد حميد الدين (ص 83).

(29) نظرات في ملامح المذهب الزيدي وخصائصه لمحمد بن عبد الله عوض المؤيدي (ص 62).

(30) الملل والنحل للشهرستاني (154/1-155).

(31) ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم: الحزمية. ولد بقرطبة سنة (384هـ). وكانت له ولأبيه من قبله رئاسة الوزارة وتدير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين، فتيهاً حافظاً، يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيداً عن المصانعة. وانتقد كثيراً من العلماء والفقهاء، فتمائلوا على بغضه، وأجمعوا على تفضيله، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنونه، فأقصته الملوك وطاردته، فرحل إلى بادية ليلة من بلاد الأندلس، فتوفي فيها سنة (456هـ). له عدة مؤلفات. الأعلام للزركلي (254/4).

(32) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (77/4).

(33) الملل والنحل للشهرستاني (155/1).

(34) نفس المرجع السابق.

- 11 - يقولون بوجوب الخروج على الإمام الظالم الجائر ولا تجب طاعته.  
 12 - مصادر الاستدلال عندهم كتاب الله، ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم القياس، ومنه الاستحسان والمصالح المرسلة، ثم يجيء بعد ذلك العقل، فما يقر العقل صحته وحسنه يكون مطلوباً، وما يقر قبحه يكون منهياً عنه<sup>(35)</sup>.

#### الفرع الرابع: فرق الزيدية:

اختلف العلماء في عدد الفرق التي انقسمت الزيدية إليها، فذهب البغدادي<sup>(36)</sup> إلى أن الزيدية انقسمت إلى ثلاث فرق، فقال في كتابه الفرق بين الفرق: «فأما الزيدية من الرافضة فمطعمها ثلاث فرق، وهي: الجارودية، والسليمانية - وقد يقال الحريرية أيضاً - والبتيرية. وهذه الفرق الثلاث يجمعها القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في أيام خروجه، وكان ذلك في زمان هشام بن عبد الملك»<sup>(37)</sup>.

ثم فصل هذه الفرق هو والإمام الشهرستاني<sup>(38)</sup>، وما تميزت كل فرقة منها كالتالي:

#### 1 - الجارودية: أصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد.

ومن مذهبهم: أنهم زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي رضي الله عنه بالوصف دون التسمية، وهو الإمام بعده، والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف، ولم يطلبوا الموصوف، وإنما نصبوا أبا بكر رضي الله عنه باختيارهم، فكفروا بذلك، وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة إمامه زيد بن علي؛ فإنه لم يعتقد هذا الاعتقاد.

وبذلك فإنهم زعموا أن الصحابة رضي الله عنهم كفروا بتركهم بيعة علي رضي الله عنه.

وكذلك اختلفوا في سوق الإمامة والتوقف فيها، فساق بعضهم الإمامة من علي رضي الله عنه إلى الحسن رضي الله عنه، ثم إلى الحسين رضي الله عنه، ثم إلى علي بن الحسين زين العابدين، ثم إلى ابنه زيد بن علي، ثم منه إلى الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وقالوا بإمامته<sup>(39)</sup>.

#### 2 - السليمانية: أصحاب سليمان بن جرير، ويقال لها أيضاً: الجريرية.

ومن مذهب سليمان بن جرير: أن الإمامة شورية فيما بين الخلق، ويصح أن تتعقد بعقد رجلين من

خيار المسلمين، وأنها تصح في المفضول مع وجود الأفضل.

(35) الملل والنحل للشهرستاني (154/1-159)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، صادر عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي (80-76/1).

(36) البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفرائيني، أبو منصور، عالم متفنن، من أئمة الأصول. كان صدر الإسلام في عصره. ولد ونشأ في بغداد، ورحل إلى خراسان، فاستقر في نيسابور. وهاجرها على أثر فتنة التركمان، ومات في إسفرائين سنة (429هـ). كان يدرس في سبعة عشر فناً. وكان ذا ثروة. الأعلام للزركلي (48/4).

(37) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص 16).

(38) الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني، من فلاسفة الإسلام. كان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة. يلقب بالأفضل. ولد في شهرستان بين نيسابور وخوارزم سنة (479هـ)، وانتقل إلى بغداد سنة (510هـ)، فأقام ثلاث سنين، وعاد إلى بلده. وتوفي بها سنة (548هـ). له عدة كتب، قال ياقوت في وصفه: الفيلسوف المتكلم، صاحب التصانيف، كان وافر الفضل، كامل العقل، ولولا تخبطه في الاعتقاد ومبالغته في نصرته مذاهب الفلاسفة والنذب عنهم لكان هو الإمام. الأعلام للزركلي (215/6).

(39) الفرق بين الفرق للبغدادي، ص (22-24)، والملل والنحل للشهرستاني (157/1-162).

وأثبت إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما باختيار الأمة حقاً اجتهادياً. وربما كان يقول: إن الأمة أخطأت في البيعة لهما مع وجود علي رضي الله عنه خطأ لا يبلغ درجة الفسق، وذلك الخطأ خطأ اجتهادياً.

وقد طعن في عثمان رضي الله عنه للأحداث التي أحدثها، وأكفره بذلك، وأكفر عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم؛ بإقدامهم على قتال علي رضي الله عنه.

3 - الصالحية والبتيرية، والصالحية أصحاب الحسن بن صالح بن حي، والبتيرية أصحاب كثير النواء الأبتري، وهما متفقان في المذهب. ومن مذهبهم: أن قولهم في الإمامة كقول السليمانية.

وتوقفوا في أمر عثمان رضي الله عنه أهو مؤمن أم كافر، فقالوا: إذا سمعنا الأخبار الواردة في حقه وكونه من العشرة المبشرين بالجنة قلنا: يجب أن نحكم بصحة إسلامه وإيمانه، وكونه من أهل الجنة، وإذا رأينا الأحداث التي أحدثها من استهتاره بتربية بني أمية وبني مروان واستبداده بأمور لم توافق سيرة الصحابة قلنا: يجب أن نحكم بكفره، فتحيرنا في أمره وتوقفنا في حاله، ووكلائه إلى أحكام الحكاميين. وقالوا: إن علياً رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاهم بالإمامة، لكنه سلم الأمر لهم راضياً، وفوض الأمر إليهم طائعاً، وترك حقه راغباً، فنحن راضون بما رضي، مسلمون لما سلم، لا يحل لنا غير ذلك. ولو لم يرض علي بذلك لكان أبو بكر رضي الله عنه هالكاً.

وقد جوزوا إمامة المفضل وتأخير الفاضل والأفضل إذا كان الفاضل راضياً بذلك. وقالوا: من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين رضي الله عنهما وكان عالماً زاهداً شجاعاً فهو الإمام<sup>(40)</sup>.

والجارودية تكفر هاتين الفرقتين، كما أن هاتين الفرقتين تكفر الجارودية أيضاً، قال البغدادي: «هؤلاء البتيرية والسليمانية من الزيدية كلهم يكفرون الجارودية من الزيدية؛ لإقرار الجارودية على تكفير أبي بكر وعمر، والجارودية يكفرون السليمانية والبتيرية لتركهما تكفير أبي بكر وعمر رضي الله عنهما»<sup>(41)</sup>.

وقال أبو الحسن الأشعري<sup>(42)</sup>: «إن الزيدية افتقرت ست فرق: الجارودية. 2- السليمانية. 3- البتيرية. 4- النعيمية أصحاب نعيم بن اليمان، ومن مذهبهم: أنهم يزعمون أن علياً رضي الله عنه كان مستحقاً للإمامة، وأنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الأمة ليست بمخطئة خطأ إثم في أن ولت أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما، ولكنها مخطئة خطأ بيناً في ترك الأفضل، وتبرءوا من عثمان رضي الله عنه ومن محارب علي رضي الله عنه، وشهدوا عليه بالكفر.

4- والفرقة الخامسة من الزيدية يتبرءون من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولا يتكفرون رجعة الأموات قبل يوم القيامة»<sup>(43)</sup>.

(40) المصادر السابقة.

(41) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي (ص 24).

(42) أبو الحسن الأشعري: علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري، ولد سنة (260هـ)، مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة. وتلقى مذهب المعتزلة، وتقدم فيهم، ثم رجع وجاهر بخلافهم. وتوفي ببغداد سنة (324هـ). قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب. الأعلام للزركلي (263/4).

(43) وهذه الفرقة لم يذكر لها أبو الحسن الأشعري اسماً، وإنما قال: الفرقة الخامسة.

## 5- اليعقوبية، أصحاب رجل يدعى يعقوب، وهو يعقوب بن علي الكوفي.

ومن مذهبهم: أنهم يتولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ولا يتبرءون ممن برئ منهما، وينكرون رجعة الأموات، ويتبرءون ممن دان بها<sup>(44)</sup>.

وقد ذكر المسعودي<sup>(45)</sup> في مروج الذهب عن جماعة من مصنفي كتب المقالات والآراء والديانات من آراء الشيعة وغيرهم كأبي عيسى محمد بن هارون الوراق وغيره: «أن الزيدية كانت في عصرهم ثمانى فرق: 1- الجارودية. 2- المرثية. 3- الأبرقية. 4- اليعقوبية، وهم أصحاب يعقوب بن علي الكوفي. 5- العقبية. 6- البترية. 7- الجريرية. 8- اليمانية، وهم أصحاب محمد بن يمان الكوفي»<sup>(46)</sup>.

هذه فرق الزيدية التي انقسمت إليها قديماً، وجميعها عدا الجارودية لم يظهر لها أثر بعد القرن الثاني، فلا تكاد يجد من ينسب إليها، كما لا نجد بين الزيدية بعد القرن الثاني من قال بما نسب إليهم من مقالات<sup>(47)</sup>، وأكثر الزيدية في زماننا مقلدون لا يرجعون إلى رأي واجتهاد، وأما في الأصول فيرون رأي المعتزلة حذو القذة بالقذة، إلا في النادر، ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت، وأما في الضروع فهم على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى، إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعي رحمه الله تعالى والشيعة<sup>(48)</sup>.

## الفرع الخامس: أماكن تواجد الزيدية:

تعتبر اليمن أهم مكان لوجود المذهب الزيدي، ويرتبط دخول الزيدية إلى اليمن بالإمام الهادي، الذي عكف على دراسة الفقه على مذهب زيد، ومذهب أبي حنيفة، ورحل إلى اليمن سنة (280هـ)، فوجدها أرضاً صالحة لبذر آرائه الفقهية، لكن الإمام الهادي عاد بعد ذلك إلى الحجاز، ولم يكن قد دعا إلى إمامته في هذه الرحلة، وأحس أهل اليمن بالفراغ الذي تركه، فراسلوه ليرجع إليهم فأجابهم، وعاد إلى اليمن سنة (284هـ)، واستقر في صعدة شمال اليمن، وأخذ منهم البيعة على إقامة الكتاب والسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(49)</sup>.

واستطاع الزيدية في اليمن استرداد السلطة من الأتراك؛ إذ قاد الإمام يحيى بن منصور بن حميد الدين ثورة ضد الأتراك عام (1322هـ)، وأسس دولة زيدية استمرت حتى سبتمبر عام (1962م) حيث قامت الثورة اليمنية، وانتهى بذلك حكم الزيود، ولكن لا زال اليمن معقل الزيود ومركز ثقلهم<sup>(50)</sup>.

ويعتبر حكم الأئمة الزيديين لليمن أطول فترة حكم في التاريخ لآل البيت، فقد استمرت أحد

(44) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري، ص (66-69)، المواعظ والاعتبار للمقريزي (94/3).

(45) المسعودي: علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، من ذرية عبد الله بن مسعود، مؤرخ، رحالة، بحاث، من أهل بغداد. أقام بمصر وتوفي فيها سنة (346هـ). وكان معتزلياً. له عدة مصنفات. الأعلام للزركلي (4/277). تنبه: في البحث: المسعود رحمه الله تعالى (ت: 345 هـ)، غير (ت: 346 هـ).

(46) ذكر هذه الفرق الثمان المسعودي في كتاب مروج الذهب، وبعض هذه الفرق غير معروفة، ولم يذكر لها هو تعريفاً.. انظر: مروج الذهب للمسعودي (439/1).

(47) الزيدية قراءة في المشروع وبحث في المكونات لعبد الله بن محمد حميد الدين، ص (50-51).

(48) الملل والنحل للشهرستاني (1/162).

(49) انظر: الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، للإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني (ص: 36)، الإرشاد إلى سبيل الرشاد للمنصور بالله (1/24).

(50) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، صادر عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي (1/78).

عشر قرناً من الزمان.

وهم يتركزون في المحافظات الشمالية من اليمن الشمالي مثل صنعاء وصعدة وعمران وحجة والمحويت وذمار.

وبالإضافة إلى الوجود التاريخي للزيدية في اليمن وجدت دعوات زيدية في طبرستان والجيل والدليم، وأسست لهم دول، لكنها لم تعمر طويلاً، ومنها حركة الحسن بن زيد بن محمد الملقب الداعي إلى الحق، والذي ظهر سنة (250هـ) في طبرستان، ثم احتل أمل وساري والري وجرجان وقومس هازماً بني طاهر، ثم توفى سنة (270هـ)، واستمرت تلك الدولة (95) عاماً، من عام (250هـ) إلى عام (345هـ) (51).

وفي الوقت الحالي ليس للزيدية وجود معتبر إلا في اليمن، وكل من بخارجها من الزيدية يعود إليها بوجه من الوجوه (52).

**الفرع السادس : كتب التفسير عند الزيدية :**

للزيدية كتب كثيرة جداً في التفسير، ولكن أغلبها ما زال مخطوطاً، ولم يطبع منها إلا أقل القليل، ومن تفاسيرهم المطبوعة :

1 - تفسير الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام (53).

2 - تفسير مقاتل بن سليمان (54).

قال الخليلي: "وتفسير مقاتل بن سليمان، فمقاتل في نفسه ضعفه، وقد أدرك الكبار من التابعين، والشافعي أشار إلى أن تفسيره صالح" (55).

3 - تفسير الحاكم الجشمي (56).

4 - تفسير الحبري (57).

5 - تفسير الأعمم (58).

1) مجلة الراصد، العدد (24)، (ص 5).

2) الزيدية قراءة في المشروع وبحث في المكونات لعبد الله بن محمد حميد الدين (ص 69).

3) واسمه (تفسير غريب القرآن المجيد)، طبع بتحقيق: محمد يوسف الدين. وفي موسوعة الأعلام في ترجمة محمد بن منصور: «محمد بن منصور بن يزيد المرادي الكوفي الزيدي، أحد أئمة الزيدية، وجامع أقوال الأئمة، مؤلفاته كثيرة، جمع تفسير الغريب للإمام زيد بن علي، توفى سنة ثيف وتسعين ومائتين». انظر: موسوعة الأعلام (5/2).

4) ومنه نسخة في المكتبة الشاملة، ومعلوماتها كما يلي:

الكتاب : تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق: أحمد فريد، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، الطبعة الأولى: 1424هـ - 2003م، انظر: كتب موقع ومحرك بحث الموسوعة الشاملة (12/1).

5) انظر: الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (1 / 398).

56) الحاكم الجشمي: الحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي، ولد سنة (413هـ). مفسر، عالم بالأصول والكلام، حنفي ثم معتزلي فزيدي. وهو شيخ الزمخشري. قرأ بتيسابور وغيرها. واشتهر بصنعاء اليمن، وتوفي شهيداً مقتولاً بمكة سنة (494هـ)، قيل: لرسالة ألفها اسمها «رسالة الشيخ إبليس إلى إخوانه المناحيس». له اثنان وأربعون كتاباً. الأعلام للزركلي (289/5).

57) هذا التفسير للمحدث المفسر أبي عبد الله الكوفي الحسين بن الحكم الحبري (286هـ)، وقد طبع الكتاب في مؤسسة آل البيت لإحياء التراث في مجلد واحد يبلغ (696 صفحة)، بتحقيق: محمد رضا الحسيني، وذلك عام: 1987م.

58) أحمد بن علي الأعمم: الفقيه الفاضل العالم أحمد بن علي بن محمد بن علي الأعمم من قرية مسطح من بلاد آس، كان عالماً عابداً، له تفسير مفيد مشهور عند الزيدية، يكتبونه في هوامش المصاحف. توفى في القرن التاسع الهجري. وقد طبع الكتاب في دار الحكمة اليمانية - صنعاء، سنة (1990م) في مجلد واحد. مطبع البدر ومجمع البحور لأحمد بن صالح بن أبي الرجال (284/1).

6 - الثمرات البانعة لشمس الدين يوسف بن أحمد، وهو في تفسير آيات الأحكام.

7 - المصابيح الساطعة الأنوار لعبد الله بن أحمد الشريفي.

وأما تفاسيرهم المخطوطة فقد ذكر الدكتور محمد السيد حسين الذهبي<sup>(59)</sup> أنه بعد البحث قرأ عن عدة كتب مخطوطة للزيدية، فقد قال: إنه وجد في الفهرست لابن النديم «أن أبا جعفر محمد بن منصور المرادي الزيدي له كتابان في التفسير، أحدهما كتاب التفسير الكبير، والآخر كتاب التفسير الصغير»<sup>(60)</sup>.

وقال رحمه الله: «وقرأت مقدمة شرح الأزهار من كتب الزيدية في الفقه -وهي مقدمة تشتمل على تراجم الرجال المذكورة في شرح الأزهار- لأحمد بن عبد الله الجنداري، فخرجت منها بما يأتي:

1. تفسير غريب القرآن للإمام زيد بن علي، جمعه بإسناده محمد بن منصور بن يزيد الكوفي، أحد أئمة الزيدية، المتوفى سنة نيف وتسعين ومائتين.

2. تفسير إسماعيل بن علي البستي الزيدي، المتوفى في حدود العشرين وأربعمائة، قال: وهو في مجلد واحد.

3. التهذيب لمحسن بن محمد بن كرامة المعتزلي ثم الزيدي، المتوفى سنة (494هـ). قال: وهذا التفسير مشهور، ويمتاز من بين التفاسير بالترتيب الأنيق، فإنه يورد الآية كاملة، ثم يقول: القراءة ويذكرها، ثم يقول: الإعراب ويذكره، ثم يقول: النظم ويذكره، ثم يقول: المعنى ويذكره، ويذكر أقوالاً متعددة، وينسب كل قول إلى قائله من المفسرين، ثم يقول: النزول ويذكر سببه، ثم يقول: الأحكام ويستنبط أحكاماً كثيرة من الآية.

4. تفسير عطية بن محمد النجواني الزيدي (ت: 665هـ). قال: وقد قيل إنه تفسير جليل جمع فيه صاحبه علوم الزيدية.

5. التيسير في التفسير، للحسن بن محمد النحوي الزيدي الصنعاني (ت: 791هـ).

وانتهزت فرصة وجود الوفد اليمنى في مصر -وفيه الكثير من علماء الزيدية الظاهرين- فاتصلت بأحد أعضائه البارزين، وهو القاضي محمد بن عبد الله العامري الزيدي، فسألته عن أهم مؤلفات الزيدية في التفسير وعن الموجود منها إلى اليوم، فأخبرني بأن للزيدية كتباً كثيرة في تفسير القرآن الكريم، منها ما بقى، ومنها ما اندثر، وما بقى منها إلى اليوم لا يزال مخطوطاً، وموجوداً في مكاتبهم، وذكر لي من تلك المخطوطات الموجودة عندهم ما يأتي:

1- تفسير ابن الأقطم<sup>(61)</sup>، أحد قدماء الزيدية.

2- شرح الخمسمائة آية «تفسير آيات الأحكام» لحسين بن أحمد النجري، من علماء الزيدية في القرن

#### الثامن الهجري.

(59) محمد السيد حسين الذهبي: عالم أزهرى كبير، ولد سنة (1333هـ)، عرف ببحوثه القيمة في مناهج التفسير، اغتيل في شهر رجب سنة (1397هـ). له عدة مؤلفات، تكلمة معجم المؤلفين، وفيات (1397هـ - 1415هـ) لمحمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف (ص: 474). تبيته: ما ذكرته في البحث من أنه توفى سنة (1398هـ) هذا الموجود على غلاف كتابه التفسير والمفسرون.

(60) التفسير والمفسرون للدكتور محمد السيد حسين الذهبي (2/208).

(61) لم أجد من يذكر هذا الاسم في كتب الزيدية، ولكن هذا ذكره في التفسير والمفسرون.

3- الثمرات البانعة «تفسير آيات الأحكام» للشيخ شمس الدين يوسف بن أحمد بن محمد بن عثمان، من علماء الزيدية في القرن التاسع الهجري.

1 - منتهى المرام شرح آيات الأحكام، لمحمد بن الحسين بن القاسم، من علماء الزيدية في القرن الحادي عشر الهجري.

2 - تفسير القاضي ابن عبد الرحمن المجاهد، أحد علماء الزيدية في القرن الثالث عشر الهجري. قال: وهناك كتب أخرى لا يحضرني اسمها، ولا اسم مؤلفيها.

فسألته عن السر الذي من أجله بقيت هذه الكتب مخطوطة إلى اليوم؟ وأي شيء يحول بينكم وبين طبعتها، حتى تصبح متداولة بين أهل العلم وعشاق التفسير؟ فأجابني: بأن السري في هذا أمران؛ أحدهما: عدم تقدم فن الطباعة عندهم. وثانيهما: أن كل اعتمادهم في التفسير على كتاب «الكشاف» للزمخشري؛ نظراً للصلة التي بين الزيدية والمعتزلة، مما جعل أهل العلم ينصرفون عن كل ما عداه من كتب التفسير، ورجا ورجوت معه أن يهيئ الله لهذا التراث العلمي في التفسير من الأسباب ما يجعله متداولاً بين أهل العلم ورجال التفسير<sup>(62)</sup>.

### المطلب الثالث: التعريف بالمعتزلة وأهم فرقها وتفاسيرها

وفيه ثلاثة فروع:

#### الفرع الأول: التعريف بالمعتزلة:

المعتزلة: فرقة من أكبر الفرق المبتدعة بين فرق المسلمين، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال، اعتزل مجلس الحسن البصري، وأخذ يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، ويثبت له المنزلة بين المنزلتين، فقال الحسن: قد اعتزل عنا واصل، فسموا «معتزلة».

ويلقبون بالقدرية؛ لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم، مع أنهم قالوا: إن من يقول بالقدر خيره وشره من الله أولى باسم القدرية!

ولقبوا أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد؛ لقولهم بوجوب الأصلح، ونفي الصفات القديمة، وقالوا جميعاً بأن القدم أخص وصف لله، وبني الصفات، وبأن كلامه مخلوق محدث، وبأنه غير مرئي في الآخرة، وأن الحسن والقبح عقليان، وأنه يجب على الله رعاية الحكمة في أفعاله، وثواب المطيع والتائب، وعقاب صاحب الكبيرة، ثم افترقوا عشرين فرقة يكفر بعضهم بعضاً<sup>(63)</sup>.

وتتلخص أصول المعتزلة في خمسة أصول:

وللمعتزلة أصول خمسة هي:

الأول: التوحيد، ويعنون به نفي صفات الباري سبحانه.

الثاني: العدل، ويعنون به أن أفعال الإنسان من خلقه وأن الله لم يخلقها.

(62) التفسير والمفسرون للدكتور محمد السيد حسين الذهبي (2/208-210).

(63) انظر: شرح المواقف للعضد الإيجي (3/652).



الثالث: المنزلة بين المنزلتين، أي كضر مرتكب الكبيرة في الآخرة دون الدنيا.  
 الرابع: الوعد والوعيد ويعنون به وجوب معاقبة الله للكافر وإثابة المؤمن.  
 الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي الخروج على الحاكم الجائر.  
 فهذه الأصول فارق المعتزلة المسلمين من أول يوم خرج فيه واصل بن عطاء عن حلقة الحسن البصري رحمه الله<sup>(64)</sup>.

#### الفرع الثاني: أهم فرق المعتزلة:

افتترقت المعتزلة إلى فرق كثيرة تصل إلى عشرين فرقة، ويزداد الغلو ببعض هذه الفرق حتى تخرج من دائرة الإسلام، ومن الغريب أن كل فرقة منها تكفر سائرهما، وأهم هذه الفرق أربع؛ وهي:  
 الفرقة الأولى: الواصلية: أتباع أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزالي، مولى بني ضبة، ولد سنة 80هـ، ونشأ على الرق، وتلمذ على الحسن البصري، ولم يفارقه إلى أن أظهر مقالاته في المنزلة بين المنزلتين، وهو مؤسس فرقة الاعتزال، توفى سنة 131هـ، وهو الذي وضع الأصول الخمسة التي يرتكز عليها الاعتزال<sup>(65)</sup>.

الفرقة الثانية: العمروية: أتباع عمرو بن عبيد بن باب، مولى بني تميم، ولد سنة 80هـ، وتوفى سنة 144هـ، كان جده من سبي كابل، عاش في البصرة، وعاصر واصل بن عطاء، وكان تريباً له، وزوجه واصل أخته، وقد أصبح شيخ المعتزلة بعد واصل، وشاركه في جميع أقواله وزاد عليه<sup>(66)</sup>.  
 الفرقة الثالثة: الهذيلية: أتباع أبي الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله البصري العلاف، ولد سنة 113هـ، وتوفى سنة 226هـ، وقيل: سنة 235هـ، وقيل: سنة 237هـ في خلافة المتوكل، أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل أحد أصحاب واصل بن عطاء<sup>(67)</sup>.

الفرقة الرابعة: النظمية: أتباع أبي إسحاق إبراهيم بن سيار بن هانئ المعروف بالنظام، سمي بهذا الاسم لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة، ولد سنة 185هـ، وتوفى سنة 231هـ، أعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات، ولذلك أنكر إعجاز القرآن وما روى من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ليتوصل بذلك إلى إنكار نبوته صلى الله عليه وسلم، ثم إنه استنقل أحكام الشريعة فأبطل الطرق الدالة عليها، ومن ثم أبطل حجية الإجماع والقياس في الفروع، وأنكر الحجة من الأخبار التي لا توجب العلم الضروري، وطعن في فتاوى الصحابة، وجميع فرق الأمة من فريقي الرأي والحديث مع الخوارج والشيعة، والتجارية، وأكثر المعتزلة متفقون على تكفير النظام.

وممن قال بتكفيره من شيوخ المعتزلة أبو الهذيل والجبائي والأسكافي وجعفر بن حرب، وكتب أهل السنة في تكفيره تكاد لا تحصى<sup>(68)</sup>.

هذه أهم أربع فرق من فرقة المعتزلة، وبقية فرق المعتزلة هي: الثمامية، والمعمرية، والبشرية،

(64) انظر: في المحيط العقدي (ص: 23).

(65) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادى (ص20)، والملا والنحل للشهرستاني (ص50).

(66) انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (2 ص295-296).

(67) انظر: التبصير في الدين للبغدادى (ص66).

(68) انظر: التبصير في الدين للبغدادى (ص67)، والفرق بين الفرق للبغدادى (ص131-133)، وتاريخ الفرق الإسلامية (ص187).

والهشامية، والمرادية، والجعفرية، والأسوارية، والأسكافية، والخابطية، والحدثية، والمويسية، والصالحية، والجاحظية، والشحامية، والخياطية، والجبائية، والكعبية، والبهشية، والجمارية.

ونلاحظ أنها في الحقيقة اثنتان وعشرون فرقة، لكن فرقتين منها ليستا من فرق الاسلام، وهما: الحايطية، والجمارية<sup>(69)</sup>.

قال الأستاذ أبو منصور البغدادي: «فهذه ثنتان وعشرون فرقة فرقتان منها من جملة فرق الغلاة في الكفر نذكرها في الباب الذي نذكر فيه فرق الغلاة، وهما الحايطية والجمارية، وعشرون منها قدرية محضة يجمعها كلها في بدعتها أمور: منها نفيها كلها عن الله عز و جل صفاته الأزلية، وقولها بأنه ليس لله عز و جل علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا صفة أزلية، وزادوا على هذا بقولهم: ان الله تعالى لم يكن له في الأزل اسم ولا صفة، ومنها قولهم باستحالة رؤية الله عز و جل بالأبصار، وزعموا أنه لا يرى نفسه، ولا يراه غيره، واختلفوا فيه هل هو راء غيره أم لا، فأجازه قوم منهم وأباه قوم آخرون منهم، ومنها اتفاهم على القول بحدوث كلام الله عز و جل، وحدوث أمره ونهيه وخبره، وكلهم يزعمون ان كلام الله عز و جل حادث، واكثرهم اليوم يسمون كلامه مخلوقا، ومنها قولهم جميعا بأن الله تعالى غير خالق لأكساب الناس ولا لشيء من أعمال الحيوانات، وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم، وانه ليس لله عز و جل في اكسابهم ولا في اعمار سائر الحيوانات صنع ولا تقدير، ولأجل هذا القول سماهم المسلمون «قدرية»، ومنها اتفاهم على دعواهم في الفاسق من أمة الاسلام بالمنزلة بين المنزلتين، وهى انه فاسق لا مؤمن ولا كافر، ولأجل هذا سماهم المسلمون «معتزلة»؛ لاعتزالهم قول الأمة بأسرها، ومنها قولهم ان كل ما لم يأمر الله تعالى به أو نهى عنه من أعمال العباد لم يشأ الله شيئا منها، وزعم الكعبي في مقالاته أن المعتزلة اجتمعت على أن الله عز و جل شيء لا كالأشياء، وأنه خالق الأجسام والأعراض، وأنه خلق كل ما خلقه لا من شيء، وعلى أن العباد يفعلون أعمالهم بالقدر التي خلقها الله سبحانه وتعالى فيهم، قال: وأجمعوا على أنه لا يغفر لمرتكبي الكبائر بلا توبة»<sup>(70)</sup>.

### الضلع الثالث: أهم تفاسير المعتزلة :

يعد تفسير الزمخشري أهم تفاسير المعتزلة الموجودة بين أيدينا. وهناك تفسير للجبائي، وهو تفسير حافل مطول، له فيه اختيارات غريبة في التفسير، وقد رد عليه الشيخ أبو الحسن الأشعري فيه، وقال: كان القرآن نزل بلغة أهل جباء<sup>(71)</sup>.

ومن تفاسيرهم تفسير الرماني<sup>(72)</sup>.

وتفسير أبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني<sup>(73)</sup>.

(69) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: 18)، والتنبيه والرد للمطلي (ص: 165).

(70) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص: 18) وما بعدها.

(71) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (14/798)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (6/137)، تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ابن الجوزي، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، 1358هـ. سير أعلام النبلاء للذهبي (27/202)، النجوم الزاهرة لابن قفري بردي (1/334).

(72) أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، أحد الأئمة المشاهير في النحو وعلم الكلام، وله تفسير للقرآن، أخذ الأدب عن ابن دريد وابن السراج، ولد ببغداد 296هـ، وتوفي 384هـ، أصله من سمرقند. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (3/299).

(73) أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني، ولد سنة 254هـ، وتوفي 322هـ، من مؤلفاته: جامع التأويل لمحكم التفسير، والناسخ والمنسوخ، وكتاب في النحو. انظر: بغية الوعاء للحافظ السيوطي (1/59)، طبقات المفسرين للداودي (2/109-110).

ومن تفاسيرهم المعاصرة: تفسير المصحف المفسر، لمحمد فريد وجدي (74).

## المبحث الثاني

### نماذج من توافق التفسير عند الزيدية والمعتزلة فيما يتعلق بالعقائد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نماذج من توافق الزيدية مع المعتزلة في التفسير فيما يتعلق بالإيمان.  
المطلب الثاني: نماذج من توافق الزيدية مع المعتزلة في التفسير فيما يتعلق بصفات الله عز وجل.

تمهيد:

منهج الزيدية العقدي هو بعينه منهج المعتزلة حذو القذة بالقذة، إلا بعض الآراء في بعض المسائل لأفراد منهم، ومن عاش منهم بالكوفة فإن منهجه في التفسير هو نفس المنهج الراضية، والقول بأنه ليس هناك من كبير فارق بين منهج الزيدية ومنهج أهل السنة والجماعة، إلا الجارودية منهم فإنهم أقرب إلى الإثني عشرية منهم إلى أهل السنة (75) غير صحيح، كما سيتضح من خلال هذا المبحث، إلا إن كان يقصد هذا القائل مسائل الفروع الفقهية.

قال الدكتور محمد السيد حسين الذهبي: «لم يقع بين الزيدية من الشيعة وبين جمهور أهل السنة خلاف كبير مثل ما وقع من الخلاف بين الإمامية وجمهور أهل السنة، والذي يقرأ كتب الزيدية يجد أنهم أقرب فرق الشيعة إلى مذهب أهل السنة، وما كان بين الفريقين من خلاف فهو خلاف لا يكاد يذكى» (76).

إلى أن قال: «كما نلاحظ على الزيدية أيضاً أنهم تأثروا إلى حد كبير بآراء المعتزلة ومعتقداتهم، ويرجع السري في هذا إلى أن إمامهم زيد بن علي تتلمذ على واصل بن عطاء.

إذن فلا نطمع بعد ذلك أن نرى للزيدية أثراً مميزاً وطابعاً خاصاً في التفسير كما رأينا للإمامية؛ لأن التفسير إنما يتأثر بعقيدة مفسره، ويتخذ له طابعاً خاصاً واتجاهاً معيناً حينما يكون لصاحبه طابع خاص واتجاه معين، وليست الزيدية - بصرف النظر عن ميولهم الاعتزالية - بمنأى بعيد عن تعاليم أهل السنة، وعقائدهم، حتى يكون لهم في التفسير خلاف كبير» (77).

ويصدق كلامه بالنسبة للزيدية الذين عاشوا في بلاد اليمن، وأما الزيدية الذين عاشوا في الكوفة فإنهم في تفاسيرهم متأثرون بمذهب الراضية الإمامية، ولذلك نجد التشابه والجنوح في تفاسيرهم

(74) محمد فريد بن مصطفى وجدي، ولد بالإسكندرية عام 1292 هـ وتوفي عام 1373 هـ (1875-1954 م) وأقام بالقاهرة وتوفي فيها، عمل في مجال الصحافة، من تصانيفه: دائرة معارف القرن العشرين، وصفوة العرفان في تفسير القرآن في مجلد واحد كبير. انظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (126/11).

(75) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي (278/1).

(76) التفسير والمفسرون للدكتور محمد السيد حسين الذهبي (207/2).

(77) نفس المرجع السابق.

إلى مذهب الإمامية كما لو كانوا منهم، وهذا ما سيظهر من خلال هذا البحث.  
والزيدية في تفسيرهم للآيات التي تتحدث عن العقيدة يضربونها ويؤولونها بنفس تفسير  
وتأويل المعتزلة، إلا مسائل قليلة جداً، قال بها أفراد منهم.

## المطلب الأول

### نماذج من موافقة الزيدية للمعتزلة في تفسير الآيات المتعلقة بالإيمان

تمهيد :

للزيدية غرائب في تفسيرهم لبعض الآيات التي تأمر بالإيمان بالله عز وجل أو التي تتحدث عن  
المؤمنين عموماً؛ حيث يحملونها على أن المقصود بها علي رضي الله عنه فقط دون دليل يدل على ذلك، وهذا  
أثر شيوعي واضح. وقد سبق أن ذكرنا في تعريف الزيدية عند بيان التسمية والنشأة أن الزيدية أقرب فرق  
الشيعية إلى الجماعة الإسلامية، وأكثر اعتدالاً، وتشيعهم نحو الأئمة لم يتسم بالغلو؛ بل اعتبروهم أفضل  
الناس بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، واعتدلوا في مواقفهم تجاه الصحابة، فلم يكفروهم، وخصوصاً  
من بايعهم علي رضي الله عنه واعترف بإمامتهم.

ومن هذا يتضح أن الزيدية في الأصل من فرق الشيعة، لكنها أقرب الفرق الشيعية إلى مذهب أهل  
السنة والجماعة.

ويتضح التقارب بين الزيدية والشيعة أو كونها من فرق الشيعة من تخصيصها لبعض الآيات بأن  
المقصود بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقط، مع أن السياق قد يكون عاماً بالمؤمنين أجمعين، أو أنه لا  
يدل على ذلك أصلاً. وهذا يكثر في مفسريهم الذين عاشوا في العراق وما وراءها من جهة الشرق، مثل مقاتل  
بن سليمان<sup>(78)</sup>، وأحمد بن علي الأعقم.

وكما أن الزيدية تتفق مع الشيعة في بعض الأمور إلا أننا نجدهم أكثر توافقاً مع المعتزلة في  
الأمور الأخرى المتعلقة بالعقائد، ومن ذلك اتفاهم مع المعتزلة في مسائل الإيمان، ويوضح ذلك ما سنذكره  
في هذا المطلب من نماذج:

أولاً: نماذج من موافقة الزيدية للمعتزلة في تفسير آيات تدل على زيادة الإيمان ونقصانه :  
ذهب الزيدية إلى أن الإيمان يزيد ولا ينقص، وهذا مذهب الناصر منهم، فقد حكى عنه صاحب  
مفتاح السعادة عند قوله تعالى: (وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ يُكْمِ زَادَتْ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ  
أَمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) (التوبة: 124): "قال الناصر عليه السلام: وجدت القرآن يدل  
على زيادة الإيمان، ولم أجده يدل على النقصان؛ لأن الإيمان عنده عليه السلام أن يؤمن الإنسان نفسه من  
سخط الله ووعيده، ويوجب لها رضوانه، وما وعد من النعيم في الجنة، وتحليده بفعل جميع ما أمر الله،

(78) مقاتل بن سليمان: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن، من الزيدية والمحدثين والقراء، من أعلام المفسرين. أصله من بلخ  
انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها. وتوفي بالبصرة سنة (150هـ). كان متروك الحديث. الفهرست لابن النديم (ص: 222)، والأعلام للزركلي  
(281/7).

واجتناب كل ما زجر ونهى عنه. وقال عليه السلام: وقد وصف الحكيم في كتابه المبين أن الإيمان يزيد، ولم يصف أنه ينقص، فقال: **«إِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا...»** (79). ثم حكى عنه أنه **«قال عليه السلام: فتحن نقول: الإيمان يزيد ولا ينقص؛ إذ لم يصف الحكيم العليم أنه ينقص، ولا يجوز أن يقال: إنه ينقص إلا عندما يرتكب معصية لله سبحانه تسخطه عليه، وتوجب وعيده له، وهذه حال قد أعلمنا الله فيها أن عمل عبده يبطل كله ويحبط، فليس لذكر البعض معنى مع بطلان الكل»** (80). ثم ساق كلاماً طويلاً جداً يقرر فيه أن الفاسق ليس بمؤمن، وحكاة عن جمع من علمائهم (81).

وهذا القول الذي ذهبوا إليه من أن الإيمان يزيد ولا ينقص هو مذهب المعتزلة، حكاة عنهم أبو حيان (82) في البحر المحيط، فقال: **«وذهب قوم إلى ما نطق به النص، وهو أنه يزيد ولا ينقص، وهو مذهب المعتزلة»** (83).

أقوال المفسرين من أهل السنة:

مذهب أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقص، ومنهم الشوكاني (84)، فقد قال عند تفسير قول الله: **«الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا (آل عمران: 173)»**، وفيه دليل على أن الإيمان يزيد وينقص» (85).

وما ذهب إليه الشوكاني من أن الإيمان يزيد وينقص هو مذهب جمهور الأمة، وقد حكى الإجماع عليه، قال ابن كثير (86): **«وقد استدلل البخاري (87) وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد»** (88).

**وأكتفي هنا بالاستشهاد ببعض الأقوال عن بعض المفسرين؛ إذ استقصاء الكل عسير؛ لكثرة**

(79) مفتاح السعادة لعلي بن محمد بن يحيى العجري (ص 1142).

(80) نفس المرجع السابق.

(81) المرجع السابق، ص (1143-1153).

(82) أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الفرناطي الأندلسي الجبالي النفي، أثير الدين، أبو حيان، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة سنة (654هـ)، ورحل إلى مالقة. وتقل إلى أقالم بالقاهرة. وتوفي فيها سنة (745هـ)، بعد أن كلف بصره. واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه. الأعلام للزركلي (152/7).

(83) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (437/3).

(84) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان، باليمن سنة (1173هـ)، ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة (1229هـ)، ومات حاكماً بها سنة (1250هـ). وكان يرى تحريم التقليد. له مائة وأربعة عشر مؤلفاً. الأعلام للزركلي (298/6).

(85) فتح القدير للشوكاني (458/1).

(86) ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام سنة (701هـ)، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة (706هـ)، ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق سنة (774هـ). له عدة مؤلفات، تناقل الناس تصانيفه في حياته. الأعلام للزركلي (320/1).

(87) البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، ولد سنة (194هـ)، وقام برحلة طويلة سنة (210هـ) في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ستمائة ألف حديث، اختار منها في صحيحه ما وثق برواته. وهو أول من وضع في الإسلام كتاباً على هذا النحو. وأقام في بخارى، فتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم، فأخرج إلى خرتك من قرى سمرقند، فمات فيها سنة (256هـ). وكتابه في الحديث أوثق الكتب الستة المعول عليها. وله عدة كتب. الأعلام للزركلي (34/6).

(88) تفسير ابن كثير (12/4).

كلامهم وتقديراتهم لهذه المسألة.

ومن هؤلاء المفسرين الإمام ابن كثير، فقد قال عند تفسيره لأية التوبة: «وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء، بل قد حكي الإجماع على ذلك غير واحد»<sup>(89)</sup>.

وذكر القول الأول لابن كثير القاسمي في محاسن التأويل عند تفسيره لقوله تعالى: (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) (الأنفال: 2). ولم يعزه لابن كثير، مما يدل على أن هذا مذهبه في هذه المسألة<sup>(90)</sup>.

وقال البيضاوي<sup>(91)</sup> في تفسير آية التوبة: «وهو دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما: (قلنا: يا رسول الله! الإيمان يزيد وينقص؟ قال: نعم، يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار)<sup>(92)</sup>. وهذا ظاهر إن جعل الطاعة من جملة الإيمان، وكذا إن لم تجعل؛ فإن اليقين يزداد بالآلف وكثرة التأمل وتناصر الحجج»<sup>(93)</sup>.

وقال ابن جزئ<sup>(94)</sup>: «والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص»<sup>(95)</sup>.

وقال الخازن<sup>(96)</sup>: «أنكر أكثر المتكلمين زيادة الإيمان ونقصانه، وقالوا: متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكاً وكفراً».

وقال المحققون من متكلمي أهل السنة: إن نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص، والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الأعمال ونقصانها، وبهذا أمكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة الإيمان ونقصانه وبين أصله من اللغة.

وقال بعض المحققين: إن نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر في الأدلة والبراهين وقلة إمعان النظر في ذلك، ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى وأثبت من إيمان غيرهم؛ لأنهم لا تعترتهم شبهة في إيمانهم ولا تزلزل، وأما غيرهم من آحاد الناس فليس كذلك، إذ لا يشك عاقل أن نفس تصديق أبي بكر

(89) المرجع السابق (239/4).

(90) محاسن التأويل للقاسمي (256/5).

(91) البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء بفارس قرب شيراز، وولي قضاء شيراز مدة. وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها سنة (685هـ). له عدة مؤلفات. الأعلام للزركلي (110/4).

(92) لم أجد في دواوين السنة. غير أنني وجدت في كتب التخریج: إنه رواه أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للعراقي وابن السبكي والزيدي، استخراج: أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد (270/1)، وتخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري لجمال الدين الزيلعي (248/1)، والفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي لزين الدين المناوي (423/1). ثم وجدته في تفسير الثعلبي (211/3). ونسبه محقق تفسير الثعلبي الطاهر بن عاشور إلى بحار الأنوار للمجلسي الشيعي (209/66). وقد وجدته في كتاب بحار الأنوار هذا للمجلسي (209/66). ولكنه من كتب الشيعة، وبهذا يظهر أنه لم يروه أحد من أهل السنة، وإنما رواه المجلسي الشيعي في بحار الأنوار. والله أعلم.

(93) تفسير البيضاوي (49/2).

(94) ابن جزئ: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبی، أبو القاسم، فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة. ولد سنة (693هـ)، وتوفي سنة (741هـ). الأعلام للزركلي (325/5).

(95) تفسير ابن جزئ (172/1).

(96) الخازن: علي بن محمد بن إبراهيم الشيعي، علاء الدين المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية، بغدادی الأصل، نسبته إلى شعبة من أعمال حلب. ولد ببغداد سنة (678هـ)، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة المسياسية فيها. وتوفي بحلب سنة (741هـ). له عدة تصانيف. الأعلام للزركلي (5/5).

رضي الله عنه لا يساويه تصديق غيره من آحاد الأمة»<sup>(97)</sup>.

وقال ابن عجيبة الصوفي<sup>(98)</sup> عند تفسيره لأية آل عمران: «وهذا يدل على أن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بحسب التوجه إلى الله والتفرض مما سواه، وينقص بحسب التوجه إلى الدنيا وشغبتها، ويزيد أيضاً بالطاعة والنظر والاعتبار، وينقص بالمعصية والغفلة والاعتراض»<sup>(99)</sup>.

وقال في قوله: «وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا» (الأنفال: 2): «وهو دليل على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»<sup>(100)</sup>.

وقال محمد صديق خان الحسيني القنوجي<sup>(101)</sup> عن آية آل عمران: «وفيه دليل على أن الإيمان يزيد وينقص»<sup>(102)</sup>.

وقال في آية الأنفال: «والآية صريحة في زيادة الإيمان»<sup>(103)</sup>. بل ورد على من تأول زيادة الإيمان بأن المقصود منه زيادة العمل، فقال رحمه الله في هذه الآية: «وقيل: المراد بها زيادة العمل؛ لأن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، والآيات المتكاثرة والأحاديث المتواترة ترد ذلك وتدفعه»<sup>(104)</sup>.

وكذلك قال السعدي<sup>(105)</sup>: «إن هذه الآية: «فيها دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بضعل الطاعة وينقص بضعها»<sup>(106)</sup>.

وقال محمد الأمين الشنقيطي<sup>(107)</sup> في أضواء البيان: «قوله تعالى: (وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) (الأنفال: 2) الآية: في هذه الآية الكريمة التصريح بزيادة الإيمان، وقد صرح تعالى بذلك في مواضع آخر، كقوله: (وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) (التوبة: 124)، وقوله: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) (الفتح: 4)، الآية، وقوله: (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) (المدثر: 31)، وقوله: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى) (محمد: 17)، الآية. وتدل هذه الآيات

(97) تفسير الخازن (24/1).

(98) ابن عجيبة الصوفي: أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، الحسيني الأنجري، ولد سنة 1160هـ، مفسر صوفي مشارك، من أهل المغرب. دفن ببدة أنجرة بين طنجة وتطوان، له كتب كثيرة. توفي سنة (1224هـ). له عدة مؤلفات. الأعلام للزركلي (245/1).

(99) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي الفاسي (438/1).

(100) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي الفاسي (304/2).

(101) محمد صديق خان الحسيني القنوجي: محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب، من رجال النهضة الإسلامية المجددين، ولد ونشأ في قنوج بالهند سنة (1248هـ)، وتعلم في دلهي. وسافر إلى بهوپال طلباً للمعيشة، ففاز بثروة وافرة، وتزوج بمملكة بهوپال، ولقب بنباب عالي الجاه أمير الملك بهادر. وتوفي سنة (1307هـ). له نيف وستون مصنفاً بالعربية والفارسية والهندسية. الأعلام للزركلي (167/6-168).

(102) فتح البيان في مقاصد القرآن لمحمد صديق خان الحسيني القنوجي (379/2).

(103) المرجع السابق (130/5).

(104) نفس المرجع السابق.

(105) عبد الرحمن السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي، مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد، مولده ووفاته في عنيزة بالتصميم، ولد سنة (1307هـ)، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها سنة (1358هـ)، توفي سنة (1376هـ). له نحو ثلاثين كتاباً. الأعلام للزركلي (340/3).

(106) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان للسعدي (ص 315).

(107) محمد الأمين الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مفسر مدرس من علماء شنقيط موريتانيا. ولد فيها سنة (1325هـ) وتعلم بها، واستقر مدرساً في المدينة المنورة ثم الرياض، وأخيراً في الجامعة الإسلامية بالمدينة، وتوفي بمكة عام (1393هـ). له عدة كتب. الأعلام للزركلي (45/6).

بدلالة الالتزام على أنه ينقص أيضاً؛ لأن كل ما يزيد ينقص، وجاء مصرحاً به في أحاديث الشفاعة الصحيحة، كقوله: (يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله)<sup>(108)</sup>، و(من في قلبه مثقال حبة من إيمان)<sup>(109)</sup>، ونحو ذلك<sup>(110)</sup>.

وهذا القول هو مذهب الصحابة والسلف رحمهم الله تعالى، وقد استقصى الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي<sup>(111)</sup> ما ورد عنهم في ذلك في شعب الإيمان، باب القول في زيادة الإيمان ونقصانه، وتفاضل أهل الإيمان في إيمانهم<sup>(112)</sup>، وكذلك أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره<sup>(113)</sup>.

وقد بوب أئمة الحديث هذه المسألة في مصنفاتهم؛ دليلاً على أن هذا القول مقرراً عندهم لا ينكره أحد، فقد بوب الإمام البخاري في صحيحه: «باب زيادة الإيمان ونقصانه»<sup>(114)</sup>، وبوب مسلم في صحيحه: «باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب»<sup>(115)</sup>، وبوب أيضاً: «باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله»<sup>(116)</sup>، وبوب أيضاً: «باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله، ككفر النعمة والحقوق»<sup>(117)</sup>، وبوب أبو داود في سننه: «باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه»<sup>(118)</sup>، وبوب النسائي<sup>(119)</sup> في سننه: «زيادة الإيمان»<sup>(120)</sup>. وغيرهم الكثير من العلماء، ويكفي مطالعة تبويبات العلماء لكتبتهم سواء المؤلفين في متون الحديث أو العقائد المسندة للتحقق من ذلك.

وقد ذكرنا الأدلة القرآنية التي استدلت بها هؤلاء العلماء على مذهبهم عند نقل كلام الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان، وأما الأدلة من الحديث فهي تحت تبويبات المحدثين التي ذكرناها آنفاً، ولا حاجة لإيرادها هنا، فهي كثيرة جداً. وذكرنا حكاية ابن كثير رحمه الله تعالى للاجماع عند ذكر مذهب الشوكاني في المسألة، فلا حاجة لإعادته.

(108) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه (17/1)، رقم (44)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (182/1)، رقم (325).

(109) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (13/1)، رقم (22)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (172/1)، رقم (304).

(110) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (50/2).

(111) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر، من أئمة الحديث، ولد في خسروجرد من قرى بيهق بنيسابور سنة (384هـ)، ونشأ في بيهق، ورحل إلى بغداد، ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات سنة (458هـ). ونقل جثمانه إلى بلده. صنف زهاء ألف جزء. الأعلام للزركلي (116/1).

(112) شعب الإيمان للبيهقي (156-143/1).

(113) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (213-212/3).

(114) صحيح البخاري (17/1).

(115) صحيح مسلم (69/1).

(116) المرجع السابق (76/1).

(117) المرجع السابق (86/1).

(118) سنن أبي داود (219/4).

(119) النسائي: أحمد بن علي بن شبيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائي، صاحب السنن، ولد سنة (215هـ)، القاضي الحافظ، شيخ الإسلام، أصله من نسا بخراسان، وجال في البلاد واستوطن مصر، فحسده مشايخها، فخرج إلى الرملة بفلسطين، فسئل عن فضائل معاوية، فأمسك عنه، فضربوه في الجامع، وأخرج عليلًا، فمات، ودفن ببيت المقدس، وقيل: خرج حاجاً، فمات بمكة. له عدة كتب. منها السنن الصغرى، من الكتب الستة في الحديث. الأعلام للزركلي (171/1).

(120) سنن النسائي (112/8).



ثانياً: نماذج من موافقة الزيدية للمعتزلة في نفي الإيمان عن العاصي (المنزلة بين المنزلتين) :  
 الزيدية في هذه المسألة يوافقون المعتزلة في أن مرتكب الكبائر في منزلة بين المنزلتين، وأنه في الآخرة من أهل النار. فقالت الزيدية بقطعية الوعيد للعصاة، وأنه يصل إليهم ما يستحقونه، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ( خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) (البقرة: 7). قال في مفتاح السعادة: ”دلت الآية الكريمة على أن وعيد الكفار مقطوع به، بمعنى أنه يوصل إليهم ما يستحقونه، وبيان دلالتها من وجهين: أحدهما: أن الله تعالى قد أخبر بذلك وتوعدهم به، فلو لم يقع لكان خلفاً وإخباراً بالشيء على خلاف ما هو عليه، وذلك كذب، لا يجوز عليه تعالى. الثاني: أنه أتى باللام التي تفيد الملك والاستحقاق، فقال: ”ولهم عذاب عظيم“. مبالغة في عدم تخلفه عنهم ومضارقتهم إياهم، حتى كأنه ملك لهم لازم، ولا خلاف بين المسلمين في حسن تعذيب الكافر واستحقاقه“<sup>(121)</sup>.  
 وذهب الناصر منهم إلى تسمية أهل الكبائر منافقين<sup>(122)</sup>. قال صاحب مفتاح السعادة: «ولها شواهد من رواية أئمتنا وغيرهم»<sup>(123)</sup>.

وأما كون مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين عندهم فقد ذكر في مفتاح السعادة في تفسير قول الله تعالى: ( وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ) (البقرة: 26-27): «وما ذكرناه من ثبوت المنزلة بين المنزلتين هو قول أئمتنا وجمهور المعتزلة، فلا يسمى مرتكب الكبيرة عندهم مؤمناً ولا كافراً، ولا يجوز وصفه بأحد هذين الوصفين»<sup>(124)</sup>. وقال في موضع آخر: «وقد دل الدليل على ثبوت المنزلة بين المنزلتين»<sup>(125)</sup>.  
 ويستدل الحاكم الجشمي على هذا بقوله: (بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْأَيْمَانِ) (الحجرات: 11)، فيقول في تفسيرها: «إن الفسق اسم ذم، والإيمان اسم مدح، وأنها لا يجتمعان»<sup>(126)</sup>، قال: «فيدل على قولنا في أنها من أسماء الشرع، وعلى قولنا في المنزلة بين المنزلتين»<sup>(127)</sup>.  
 بل ذهب علي بن محمد بن يحيى العجري<sup>(128)</sup> إلى كفر مرتكب الكبيرة، فقد قال: «إن السنة

121) مفتاح السعادة لعل بن محمد بن يحيى العجري (ص 1313).

122) المرجع السابق (ص 1392).

123) نفس المرجع السابق.

124) المرجع السابق (ص 2063).

125) المرجع السابق (ص 3243).

126) الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير لعدنان محمد زرزور (ص 192).

127) نفس المرجع السابق.

128) علي بن محمد بن يحيى العجري: السيد العلامة المجتهد الورع الزاهد علي بن محمد بن يحيى بن أحمد بن الحسين بن محمد، الملقب بالعجري، سيد العلماء الأعلام، ويدر أبناء الأئمة الكرام، ولد بهجرة فله سنة (1320هـ)، كفله عمه السيد العلامة عبدالله بن يحيى العجري، واعتنى به رعاية خاصة، ورباه فأحسن تربيته، وأفاض عليه من علومه ومعارفه، ثم انتقل إلى هجرة ضحيان، ومكث بها فترة ثم رجع إلى صارة، ومن صارة كان ينتقل مطلع كل أسبوع إلى هجرة فله طالباً للعلوم، عاكفاً عليها بعزيمة صادقة، وهمة عالية، محققاً لمنطوقها والمفهوم، وقد برع في كثير من فنون العلم، وبلغ غاية عظيمة في الاجتهاد، بالرغم من العوائق التي كانت تصاحبه أثناء طلبه للعلم، خلف تراثاً عظيماً خالداً، وقام بحل كثير من المشاكل العالقة بين القبائل، وعمل على إصلاح شأنهم على كل الأصعدة، وحل لهم الاشكالات المتعلقة بالأراضي. اعتورته أمراض منهكة أقدمته مدة خمس سنوات مضطجماً، لا يستطيع أن يتحول عن موضع اضطجاعه إلا بمعونة غيره. وتوفي ليلة الخميس التاسع عشر من شهر رجب سنة (1407هـ). من مقدمة كتاب: مفتاح السعادة لعل بن محمد بن يحيى العجري (ص: 17-29) باختصار.

الصحيحة والآثار عن أمير المؤمنين عليه السلام وغيره من السلف قد دلت على كفر مرتكب الكبيرة»<sup>(129)</sup>. وقال: «أما إطلاق الكفر عليه وتسميته به على معنى أنه كافر بأنعم الله فهو قول الصادق والقاسم والناصر، ونص عليه الهادي في مسائل الرازي، ولم يقيده بكفر النعمة، بل أطلق القول بكفره، وأطال في الاحتجاج عليه، وأطلقه أيضاً غيره، والظاهر أنه إجماع قدماء العترة»<sup>(130)</sup>.

واستدل الناصر بكفر إبليس على تكفير أهل الكباثر، قال الناصري في تقرير هذا الدليل: «واعلم هداك الله أن الشيطان اللعين الرجيم لم يكن كفره بجحد منه لربه، ولا عدل به سواه، وإنما كان كفره وجحده من طريق ترك طاعته، وأمره إياه بالسجود، واستكباره على آدم لا على ربه؛ إذ قال: (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) (الأعراف: 12). فكل عاص لربه كافر كإبليس، وإن أكثر الناس الآن ليأتون من الاستكبار الذي كفر الله به إبليس، وأخرجه من الجنة، ولعنه بأكثر مما جاء به إبليس، ولا يرون عليهم في ذلك شيئاً، ولا يعظم لديهم، فيقول أحدهم للآخر: أتكلمني وتساويني في المجلس والقول وأنا ابن فلان القائد، أو ابن فلان الملك الجبار المعاند، أو ابن فلان المؤسر الغني، وأنت ابن فلان الفقير المسكين، أو ابن فلان المؤمن الصانع بيده المكتسب ببدنه؟ وما أشبه ذلك، ولا تراهم يفتخرون بأب، كان نبياً ولا ورعاً ولا براً ولا تقياً، ولا مؤمناً رضيعاً زكياً، ولا بأنهم في أنفسهم صالحون، ولربهم مرضون مطيعون، ولعاصيه مجتنبون، ومنها حذرون، وهذا أكبر من استكبار الشيطان أو مثله»<sup>(131)</sup>. وحكى صاحب مفتاح السعادة عن الناصر هذا أنه قال: «الكافرون في المسلمين، والظالمون في اليهود، والفاسقون في النصارى»<sup>(132)</sup>. وأما كونه من أهل النار في الآخرة فقد قال الحاكم الجشمي في تفسير قوله تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلُونَهَا يُومَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ) (الانفطار: 13-16): «إن الفجار العصاة المرتكبين للكباثر في النار، والضجور اسم للعصيان، ولهذا يقال للزاني: فاجر. ومعنى «يصلونها» أي: يلازمونها للتعذيب»، إلى أن قال: «وتدل الآية على قولنا في الوعيد من جهات: أحدها: أنه فصل بين البر والفاجر، فدل على أن الفجار ليسوا من الأبرار، بخلاف قول المرجئة.

ومنها: أنه عم جميع الفجار ولم يخص، فلا فاجر إلا ويدخل تحت الآية، خلاف قولهم.

ومنها: قوله: «لفي جحيم»، فلم يثبت لهم مكاناً غيره.

ومنها: قوله: «وما هم عنها بغائبين»، فدل على الدوام»<sup>(133)</sup>. ثم قال: «ومتى قيل: أراد بالفجار الكفار قلنا: عنه أجوبة، أحدها: أنه لو صح لدخل بعض الفجار الجنة، ولكانوا من الأبرار. وهذا خلاف الآية.

وثانيها: أن الآية عامة.

وثالثها: أن أهل القبلة مخاطبون بالاتفاق، ولو تناول الكفار لما كانوا مخاطبين؛ لأن الضجور اسم

(129) مفتاح السعادة لعلي بن محمد بن يحيى العجري (ص 2073).

(130) المصدر السابق (ص 2070).

(131) كتاب البساط للإمام الناصر للحق الأطروش الحسن بن علي (ص 28).

(132) مفتاح السعادة لعلي بن محمد بن يحيى العجري (ص 2073).

(133) الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير لعدنان محمد زرزور (ص 185).

(134) لجميع المعاصي»

ويمثل هذا التفسير فسرهما الأعمق، فقد قال: «وإن الفجار العصاة المرتكبين الكبائر» لفي جحيم» في النار، والفضور اسم العصيان، يقال للزاني فاجر، «يصلونها»، أي: يحملونها للتعذيب، «يوم الدين» يوم الجزاء، «وما هم عنها بغائبين» بموت ولا خروج»<sup>(135)</sup>. فالحاكم الجشمي من الزيدية، فهو يرى أن الوعيد يتناول المجرم، وهو الفاسق، خلاف قول بعضهم. وأن عذابه دائم؛ إذ لو انقطع لصار في بعض الأوقات كالمعتي<sup>(136)</sup>.

وقال في قوله تعالى: (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ خَالِدُونَ لَا يَخْفَوْنَ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ) (الزخرف: 74-75): «إنه يدل على أن كل مجرم في عذاب جهنم، والفاسق مجرم، ويدل على أن الفاسق يكونون في النار»<sup>(137)</sup>.

وذكر في تفسير قوله تعالى: (قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدِيَ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدِي وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (ق: 28-29): «إن وعده ووعيده لا يتبدل، وأنه تعالى لا يعاقب بغير ذنب، ولا يجازي بالحسنة سيئة، ولا يمنع الثواب من استحقاقه»<sup>(138)</sup>. وقال: «ويدل قوله: «ما يبدل القول لدي» أن وعيده لا خلف فيه، خلاف قول بعض المرجئة»<sup>(139)</sup>.

وقال في قوله تعالى: (وَمَنْ يُعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَانَ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا) (الجن: 23): «إنها تدل على أن العصاة يخلدون في النار، خلاف قول المرجئة»<sup>(140)</sup>.

وقال في مفتاح السعادة في قوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسُوا بِإِنصَارٍ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) (البقرة: 79): «قال أبو علي: في الآية دليل على أن الله تعالى لم يكن وعد موسى ولا من بعده من الأنبياء بخروج أهل الكبائر من النار، وإلا لما أنكر على اليهود مقالته هذه. قلت: ودلائلها على هذا واضحة؛ لأنه تعالى أنكر مقالته هذه، ودل على أنه لم يكن بذلك منه عهد، ونص على أنهم قالوا ذلك لا عن علم.

قال أبو علي: وإذا ثبت أنه ما دلهم، وثبت أنه قد دلهم على وعيد العصاة إذا كان في ذلك زجر لهم عن الذنوب فقد وجب أن يكون عذابهم دائما، وإذا ثبت ذلك في سائر الأمم وجب ثبوته في هذه الأمة، ولا يجوز اختلاف الحكم مع اتحاد قدر المعصية؛ لمنافاته العدل»<sup>(141)</sup>.

وهذا قول جميع الفرق الزيدية، قال الإسفرائيني<sup>(142)</sup>: «وجميع فرق الزيدية يجمعهم القول

(134) المصدر نفسه.

(135) تفسير الأعمق (275/2).

(136) الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير لعدنان محمد زرزور (ص 193).

(137) المرجع السابق (ص 186).

(138) نفس المرجع السابق.

(139) نفس المرجع السابق.

(140) المرجع السابق (ص 187).

(141) مفتاح السعادة لعلي بن محمد بن يحيى العجري (ص 3075).

(142) أبو المظفر الإسفرائيني: شهنور بن طاهر بن محمد الأسفرائيني، أبو المظفر، عالم بالأصول، مفسر، من فقهاء الشافعية. قال السبكي: ارتبطه نظام الملك بطوس، وصنف التفسير الكبير المشهور، وصنف في الأصول. توفي سنة (471هـ). الأعلام للزركلي (3/179).

بتخليد أهل الكباثر في النار»<sup>(143)</sup>.

وقول الزيدية هذا هو مذهب المعتزلة والخوارج، قال ابن أبي الخير العمراني اليماني الشافعي<sup>(144)</sup>، «ثم لما اعتزلت المعتزلة بقول واصل بن عطاء في مرتكب الكبيرة بأنه في منزلة بين المنزلتين انضم إليه عمرو بن عبيد، فضموا إلى بدعتهم في الإيمان وإنكارهم خروج أحد من النار وخلق أهل الكباثر في النار وإنفاذ الوعيد إنكارهم للقدس»<sup>(145)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(146)</sup>، «ولكن كثيراً من أهل البدع والخوارج والمعتزلة أنكروا شفاعته<sup>(147)</sup> لأهل الكباثر، فقالوا: لا يشفع لأهل الكباثر؛ بناء على أن أهل الكباثر عندهم لا يغفر الله لهم ولا يخرجهم من النار بعد أن يدخلوها لا بشفاعة ولا غيرها»<sup>(148)</sup>.

وسبب إنكارهم لهذه الشفاعة لأنها تضاد أصولهم الفاسدة، قال الإمام القرطبي<sup>(149)</sup>، «وهذه الشفاعة هي التي أنكرتها المبتدعة الخوارج والمعتزلة، فمنعتها على أصولهم الفاسدة، وهي الاستحقاق العقلي المبني على التحسين والتقبيح»<sup>(150)</sup>.

قول أهل السنة في المسألة:

وقد رد المفسرون من أهل السنة القول بالمنزلة بين المنزلتين، قال النسفي<sup>(151)</sup> في تفسيره: «وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» (الاسراء: 10)؛ «والآية ترد القول بالمنزلة بين المنزلتين؛ حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم، ولم يذكر الضيقة»<sup>(152)</sup>.

وقال في اللباب في علوم الكتاب في تفسير قوله تعالى: «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ» (الجناتية: 30-31)؛ «ذكر الله المؤمنين والكافرين ولم يذكر قسماً ثالثاً، وهذا يدل

(143) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة للإسراييلي (ص 29).

(144) ابن أبي الخير العمراني: يحيى بن سالم أبي الخير بن أسعد بن يحيى، أبو الحسين العمراني، ولد سنة (489هـ)، فقيه، كان شيخ الشافعية في بلاد اليمن، له عدة تصانيف، توفي بذي سفال باليمن سنة (558هـ). الأعلام للزركلي (146/8).

(145) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لابن أبي الخير العمراني اليماني الشافعي (64/1).

(146) أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، الإمام، شيخ الإسلام، ولد في حران سنة (661هـ)، وتحول به أبوه إلى دمشق، فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها، فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية، ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة (712هـ)، واعتقل بها سنة (720هـ) وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير، وأفتى ودرس وهو دون العشرين. أما تصانيفه فقتيل: ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وقيل: إنها تبلغ ثلاثمائة مجلد. الأعلام للزركلي (144/1).

(147) يعني: الرسول صلى الله عليه وسلم.

(148) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية (ص 273).

(149) القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متعبد. من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب في شمالي أسبوط بمصر سنة (671هـ)، وتوفي فيها. وكان ورعاً متعبداً، طارحاً للتكلف، يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية. له عدة مؤلفات. الأعلام للزركلي (322/5).

(150) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (ص 607).

(151) النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين، فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيدج من كور أصبهان، ووفاته فيها سنة (710هـ). نسبتها إلى نسف ببلاد السند بين جيحون وسمرقند. له مصنفات جليلة. الأعلام للزركلي (67/4).

(152) تفسير النسفي (248/2).

على أن مذهب المعتزلة في إثبات منزلة بين المنزلتين باطل»<sup>(153)</sup>.

وجاء في فتح البيان في مقاصد القرآن في تفسير قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (التغابن: 2)، «وقدم الكافر على المؤمن لأنه الأغلّب عند نزول القرآن، وفيه رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين»<sup>(154)</sup>.

والحاصل في مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة ما حكاه ابن تيمية بقوله: «لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما تفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه في آية القصاص: (فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ) (البقرة: 178)، وقال: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (الحجرات: 9-10).

ولا يسلبون الفاسق المني اسم الإيمان بالكلية ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ) (النساء: 92)، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) (الأنفال: 2)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)<sup>(155)</sup>.

ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم»<sup>(156)</sup>.

وقال رحمه الله: «فإن مذهب أهل السنة والجماعة أن الفاسق المني له الثواب والعقاب إذا لم يعف الله عنه، وإنه لا بد أن يدخل النار من الفاسق من شاء الله، وإن كان لا يخلد في النار أحد من أهل الإيمان، بل يخلد فيها المنافقون كما يخلد فيها المتظاهرون بالكفر»<sup>(157)</sup>.

وقال عمن يقول بتخليد الفاسق في النار: «وهم في هذا القول مخالفون للسلف والأئمة»<sup>(158)</sup>؛ إذ أن مذهب الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وسائر أهل السنة والجماعة أنه صلى الله عليه وسلم يشفع في أهل الكبائر، وإنه لا يخلد في النار من أهل الإيمان أحد. بل يخرج من النار من في قلبه مثقال حبة من إيمان أو مثقال ذرة من إيمان»<sup>(159)</sup>.

153) الباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (372/17).

154) فتح البيان في مقاصد القرآن لمحمد صديق خان الحسيني (164/14).

155) أخرجه البخاري، كتاب المظالم والنصب، باب النهي بغير إذن صاحبه (136/3)، رقم (2475)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي (76/1)، رقم (100).

156) العقيدة الواسطية لابن تيمية (ص 113-114).

157) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (4/226).

158) المرجع السابق (6/639).

159) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة لابن تيمية (ص 273).

وقال الإمام النووي<sup>(160)</sup>: «مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المسلم بالمعاصي كالقتل والزنا»<sup>(161)</sup>.

فالزيدية بقولهم هذا مخالفون لإجماع سلف الأمة وأئمتها، وقد هدى الله أهل السنة والجماعة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، حيث ذهبوا إلى أن أهل الكباثر تحت مشيئة الله، إن شاء غفر لهم برحمته، وإن شاء عذبهم بذنوبهم، ثم أدخلهم الجنة برحمته، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (النساء: 48)، وقال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر: 53)<sup>(162)</sup>. وقال الألويسي<sup>(163)</sup>: «اتفق أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكباثر وأنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد. وأما الخوارج والمعتزلة فأنكروا شفاعته لأهل الكباثر، ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين وهؤلاء مبتدعة ضلال، وفي تكفيرهم نزاع وتفصيل»<sup>(164)</sup>. وقال الإمام السفاريني<sup>(165)</sup>: «أن القول الذي لم يوافق الخوارج والمعتزلة عليه أحد من أهل السنة هو القول بتخليد أهل الكباثر في النار، فإن هذا القول من البدع المشهورة، وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان. واتفقوا أيضاً على أن نبينا صلى الله عليه وسلم يشفع في من يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكباثر من أمته»<sup>(166)</sup>.

استدلال الزيدية على المنزلة بين المنزلتين:

وقد استدلال الزيدية على مذهبهم هذا بقولهم: بأن من «المعلوم أن الفاسق يخزى؛ لقوله تعالى في المحاربين: (ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (المائدة: 33)، ومن دخل النار فقد آخزى؛ لقوله تعالى: (إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ آخَزَيْتَهُ) (آل عمران: 192). وإذا كان الفاسق يخزى بإدخاله النار، وقد أخبر الله سبحانه أن المؤمن لا يخزى؛ انتج ذلك أن الفاسق ليس بمؤمن، وهذا واضح كما ترى، وقال تعالى: (أَلَا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: 146). وقال سبحانه: (وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) (آل عمران: 68).

(160) النووي: يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين، علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا من قرى حوران بسورية واليهما نسبتة. ولد سنة (631هـ)، تعلم في دمشق، وأقام بها زمناً طويلاً. توفى سنة (676هـ). له عدة مؤلفات. الأعلام للزركلي (149/8).

(161) شرح النووي على مسلم للنووي (49/2).

(162) الجنة والنار لعمر بن سليمان الأشقر (ص 133).

(163) الألويسي: محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألويسي الحسيني، أبو المعالي، مؤرخ، عالم بالأدب والدين، ولد في رصافة بغداد سنة (1273هـ)، وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما. وتصدر للتدريس في داره وفي بعض المساجد. وحمل على أهل البدع في الإسلام برسائل، فغاده كثيرين وسعوا به لدى والي بغداد عبد الوهاب باشا، فكتب هذا إلى مرجعه السلطان عبد الحميد الثاني العثماني، فصدر الأمر بنفيه إلى بلاد الأناضول، فلما وصل إلى الموصل قام أعيانها فتمنوه من تجاوزها، وكتبوا إلى السلطان يحتجون، فسمح له بالعودة إلى بغداد، فعاد. ولما احتل البريطانيون بغداد سنة (1335هـ) عرضوا عليه قضاءها، فزهد فيه انتباضاً عن مخالطتهم. توفى في بغداد سنة (1342هـ). له اثنتان وخمسون مصنفاً بين كتاب ورسالة. الأعلام للزركلي (173-172/7).

(164) غاية الأمان في الرد على النهياني للألويسي (344/2).

(165) السفاريني: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون، عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. ولد في سفارين من قرى نابلس سنة (1114هـ)، ورحل إلى دمشق، فأخذ عن علمائها. وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى، وتوفى فيها سنة (1188هـ). له عدة كتب. الأعلام للزركلي (14/6). رحمه الله تعالى (ت: 1188هـ).

(166) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية للسفاريني (410/1).

وقال: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (يونس: 62). والفاسق يخاف ويحزن، وقال: (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا نَحِيحَتَهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامًا وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) (الأحزاب: 43-44)، إلى غير ذلك من الآيات، ولم يقل شيئاً من ذلك للفسقة العجزة ولا للعتاة الكفرة.

قال الهادي عليه السلام: فهذه الآيات ونحوها علمنا أن اسم الإيمان فاضل شريف حسن، وأن من سماه الله مؤمناً مسلماً فقد مدحه الله مدحاً شريفاً، وأثنى عليه ثناءً جميلاً، وسماه بالفاضل من الأسماء التي جعلها الله أسماءً لدينه وصفات لأوليائه، وأن من استحق هذا الاسم عند الله فهو ولي لله من أهل الجنة، وأن هذه الأسماء الحسنة الشريفة لا يستحقها الفجرة الفسقة العتاة الظلمة أصحاب الزنى وشرب الخمر وشهادات الزور وقذف المحصنات وترك الصلوات وقطع الطرق على الحجاج وهدم المساجد وتحريف المصاحف وهدم الكعبة وانتهاك حرم المسلمين وفعل قوم لوط، ونحو ذلك من الأفعال الشنيعة القبيحة الفظيعة»<sup>(167)</sup>.

وقال: «لفظ مؤمن مدح على الإطلاق، ولفظ فاسق اسم ذم على الإطلاق، فلا يجوز أن يوصف بهما شخص واحد؛ لتناقضهما، كما لا يحكم له باستحقاق المدح والذم، ولأنه يؤدي إلى اجتماع التعظيم والاستخفاف، وهما نقيضان»<sup>(168)</sup>.

#### أدلة أهل السنة على عدم سلب الإيمان عن العصاة:

واستدل أهل السنة والجماعة على عدم سلب الإيمان عن العصاة بالكتاب والسنة، ومن ذلك:

- 1 - قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (النساء: 48).
  - 2 - قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر: 53). قال ابن جرير الطبري<sup>(169)</sup>: «وقال آخرون: نزل ذلك في قوم كانوا يرون أهل الكبائر من أهل النار، فأعلمهم الله بذلك أنه يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء»<sup>(170)</sup>.
- ثم روى بسنده عن ابن عمر قال: (كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول: إنه ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة، حتى نزلت هذه الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ) (محمد: 33). فلما نزلت هذه الآية قلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟ قلنا: الكبائر والوضوح. قال: فكنا إذا رأينا من أصاب شيئاً منها قلنا: قد هلك، حتى نزلت هذه الآية: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (النساء: 48). فلما نزلت هذه الآية كففنا عن القول في ذلك، فكنا إذا رأينا أحداً أصاب منها شيئاً خفنا عليه، إن لم يصب منها شيئاً

(167) مفتاح السعادة لعلي بن محمد بن يحيى العجلي (ص 1144-1145).

(168) المرجع السابق (ص 1151).

(169) ابن جرير الطبري: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام. ولد في أمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمطالم فأبى. له عدة مؤلفات، وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق، وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلد أحداً، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه، وكان أسمر أعين، نحيف الجسم، فصيحاً. ولد سنة (224هـ)، وتوفي سنة (310هـ). الأعلام للزركلي (6/69).

(170) تفسير الطبري (310/21).

رجونا له<sup>(171)</sup>»<sup>(172)</sup>.

3 - قال تعالى: «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قَوَّلُوا أَسْلَمْنَا وَمَا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (الحجرات:14). قال ابن كثير: "وقد استفيد من هذه الآية الكريمة: أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة"<sup>(173)</sup>، إلى أن قال: «فدل هذا على أن هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين، وإنما هم مسلمون لم يستحکم الإيمان في قلوبهم، فادعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه، فأدبوا في ذلك»<sup>(174)</sup>. ثم ذكر الأقوال في سبب نزول الآية، ثم قال: «والصحيح الأول، أنهم قوم ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يحصل لهم بعد، فأدبوا وأعلموا أن ذلك لم يصلوا إليه بعد، ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا، كما ذكر المنافقون في سورة براءة»<sup>(175)</sup>.

4 - قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) (الممتحنة: 1). فناداهم باسم الإيمان مع وجود المعصية، وهي موالاتة الكفار<sup>(176)</sup>.

5 - حديث المعمر بن سويد قال: لقيت أبا ذر بالريذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلاً فغيرته بأمه، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أبا ذر! أغيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم)<sup>(177)</sup>. وبوب عليه البخاري: باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك. قال ابن الملقن<sup>(178)</sup>: «قوله:» إنك امرؤ فيك جاهلية» أي: أنت في تعبيره بأمه على خلق من أخلاقهم؛ لأنهم كانوا يتفخرون بالأنساب، وفيه نزلت: (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) (التكاثر: 1). ولم يرد في كفرهم<sup>(179)</sup>.

6 - حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الطويل في رؤية المؤمنين ربه يوم القيامة، وفيه: (فيقول الله تعالى: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرم الله صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا، ثم

(171) سيأتي تخريجه.

(172) تفسير الطبري (310/21).

(173) تفسير ابن كثير (389/7).

(174) تفسير ابن كثير (389/7).

(175) نفس المرجع السابق.

(176) شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص 235).

(177) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك (15/1)، رقم (30)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب إعلماء الملوك مما يأكل واللباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يقبله (1283/3)، رقم (1661).

(178) ابن الملقن: عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، سراج الدين، أبو حفص ابن النحوي، المعروف بابن الملقن، من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال. أصله من وادي أش بالأندلس، ومولده ووفاته في القاهرة، ولد سنة (723هـ)، وتوفي سنة (804هـ). له نحو ثلاثمائة مصنف. الأعلام للزركلي (57/5).

(179) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (372/28).



يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا<sup>(180)</sup>.  
6 - وحكى الإمام النووي الإجماع على أن مات على غير الشرك يدخل الجنة، فقال في شرحه لصحيح مسلم: ”أما حكمه صلى الله عليه وسلم على من مات يشرك بدخول النار ومن مات غير مشرك بدخوله الجنة فقد أجمع عليه المسلمون“<sup>(181)</sup>.

وأما ما يستدل به الزيدية وغيرهم من النصوص التي فيها الوعيد بدخول النار على بعض المعاصي فقد أجاب أهل السنة عليها ببعض الأجوبة، ومن هذه الأجوبة:

1 - أن هذا الجزاء خاص بمن يستحل هذه المعصية، فقد قال الإمام القسطلاني<sup>(182)</sup> عند شرحه لحديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: (قلت: يا رسول الله! لقيت رجلاً من المشركين فقطع يدي ثم لاذمني بشجرة فقال: أسلمت لله أقتله؟ قال: لا، قلت: يا رسول الله! إنه قطع يدي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقتله؛ فإنك إن قتلته كان بمنزلك قبل أن تقتله، وكنت بمنزلته قبل أن يقول: كلمته التي قال)<sup>(183)</sup>، «المعنى: إن قتلته مستحلاً»<sup>(184)</sup>.

وقال الإمام ابن حبان<sup>(185)</sup>، «معنى قوله: (وكنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال)؛ يريد به أنك إن قتلته بعدما أنهاك عنه مستحلاً له كنت كذلك، وله معنى آخر وهو: أنك إن قتلته كنت بمنزلته يريد أنك تقتل قوداً به كقتلك المسلم»<sup>(186)</sup>.

وقال الإمام النووي في شرحه لحديث: (إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما)<sup>(187)</sup>؛ «قيل: في تأويل الحديث أوجه، أحدها: أنه محمول على المستحل لذلك»<sup>(188)</sup>.

2 - أن هذه المعاصي قد تؤول بصاحبها إلى الكفر، وأنه يخاف على صاحبها من سوء الخاتمة والعياذ بالله، فقد ذكر الإمام النووي من أوجه التأويل للحديث السابق قال: «والوجه الرابع: معناه أن ذلك يؤول به إلى الكفر، وذلك أن المعاصي كما قالوا بريد الكفر، ويخاف على الكثير منها أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر»<sup>(189)</sup>.

180 أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) (129/9)، رقم (7439)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (167/1)، رقم (302).

181 شرح النووي على مسلم (97/2).

182 القسطلاني: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، من علماء الحديث. مولده ووفاته في القاهرة، ولد سنة (851هـ)، وتوفي سنة (923هـ). له عدة مؤلفات. الأعلام للزركلي (232/1).

183 أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب ولم يذكر له عنواناً (85/5)، رقم (4019)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله (95/1)، رقم (155).

184 إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (272/6).

185 ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم البستي، ويقال له: ابن حبان، مؤرخ علامة، جغرافياً محدث. ولد في بستان من بلاد سجستان، وتنقل في الأقطار، فرحل إلى خراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة. وتولى قضاء سمرقند مدة، ثم عاد إلى نيسابور، ومنها إلى بلده، حيث توفي في عشر الثمانين من عمره سنة (354هـ). وهو أحد الكثيرين من التصنيف. قال ياقوت: أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره، وكانت الرحلة في خراسان إلى مصنفاة. الأعلام للزركلي (78/6).

186 الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لابن حبان (56/11).

187 أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر (79/1)، رقم (111).

188 شرح النووي على مسلم (50-49/2).

189 المرجع السابق (50/2).

3 - أن المقصود أن مرتكب هذه المعاصي لا يدخل الجنة مباشرة، وإنما يعذب بقدر معاصيه ثم يدخل الجنة بعد ذلك، قال الإمام النووي في شرحه لحديث (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)<sup>(190)</sup>، «يحتمل وجهين، أحدهما: أن يكون مستحلاً لغشهم، فتحرم عليه الجنة ويخلد في النار، والثاني: أنه لا يستحله فيمتنع من دخولها أول وهلة مع الفائزين»<sup>(191)</sup>.

والقول بخلود أهل الكبائر في النار وإنكار الشفاعة ظهر فيهم والصحابة ما زالوا أحياء، وعلى الرغم من أن الصحابة ردوا عليه في حينه، إلا أن ولع أهل البدع به جعلهم لا يلتفتون إلى إنكار الصحابة له، بل توارثوه فيما بينهم جهلاً أو عناداً أو هوى، فعن يزيد الفقير قال: (كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم، جالس إلى سارية، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين، قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله! ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: (إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ) (آل عمران: 192)، (كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا) (السجدة: 20)، فما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام، يعني: الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج. قال: ثم نعت وضع الصراط، ومر الناس عليه، قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذلك. قال: غير أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم، قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنة، فيغتسلون فيه، فيخرجون كأنهم القراطيس. فرجعنا قلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فرجعنا، فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد)<sup>(192)</sup>.

هذا هو مذهب الزيدية في أهل الكبائر، وقد حكى صاحب مفتاح السعادة: «أن مقاتل بن سليمان يرى عدم عقوبة المشرك، فقال: «إلا ما يحكى عن مقاتل بن سليمان وبعض الخراسانية وبعض الكرامية فذهبوا إلى أن المشرك لا يعاقب، وأنه لا معنى للمشرك، غير أنهم يسترون هذا المذهب»<sup>(193)</sup>. وهو قول لا يستحق الرد عليه؛ إذ بطلانه معلوم بداهة. والله أعلم.

### ثالثاً: نماذج لاتفاق الزيدية والمعتزلة في مسألة خلق القرآن؛

قال صاحب مفتاح السعادة في تفسير قوله تعالى: (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (المؤمنون: 14)، فقد قال: "أي: المقدرين، وإذا كان الخلق بمعنى التقدير كان المخلوق بمعنى المقدر، وأنه مشتق منه، وإذا كان هكذا صح وصف القرآن بأنه مخلوق؛ لأنه مقدر مرتب، منزل على مقدار معلوم، مطابق لمصالح العباد، وقد دل الكتاب والسنة على ذلك، قال الله تعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) (الرعد: 16)، وقال: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) (الفرقان: 59). قال الهادي عليه السلام: وكذلك القرآن؛ لأنه شيء، وهو بين السماوات والأرض، وليس من أعمال العباد التي أضافها الله إليهم في كتابه، ولا من صنعهم الذي

(190) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الفاش لرعيته النار (125/1)، رقم (227).

(191) شرح النووي على مسلم (215/12).

(192) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (179/1)، رقم (320).

(193) مفتاح السعادة لعل بن محمد بن يحيى العجزي (ص 1313)، و(3082).

نسبه الله إليهم، فهو داخل في الآيتين؛ لأن الله تعالى وصفه بالإنزال كما وصف الماء والحديد وغيرهما بالإنزال، وكل ذلك مخلوق، فيجب في القرآن مثله.

وقال تعالى: (وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا) (الشورى: 52)، وقال: (وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) (الأنعام: 1). فأخبر أنه نور، والنور مخلوق، وقال: "وجعلناه"، وقال: (جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) (الزخرف: 3)، وقال: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) (الأعراف: 189). قال الهادي عليه السلام: وكذلك خلق القرآن؛ إذ جعله قرآنًا، كما جعل الشمس ضياء والقمر نوراً بأنه خلقهما، وأيضاً قد أخبر تعالى أنه محدث، وإذا كان محدثاً فالله أحدثه، وهو مخلوق، والله خلقه<sup>(194)</sup>. وقد ساق كلاماً كثيراً في تقرير هذا المعنى، والرد على بقية المذاهب<sup>(195)</sup>.

وقال الحاكم الجشمي عند تفسير قوله تعالى: (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) (الأحقاف: 1-2): «يدل قوله: «تنزيل» على حدوث القرآن من وجهين: أحدهما: أن الإنزال على القديم لا يجوز، والثاني: أن قوله: «من الله» يقتضي الفعلية، كقولهم: الإحسان والنعمة منه»<sup>(196)</sup>.

وقال في قوله تعالى: (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً) (فصلت: 1-4): «إنه يدل على حدوث القرآن من حيث وصفه بأنه «فصلت»، وبالآيات، وبالقرآن، وبأنه عربي، وبأنه بشير ونذير»<sup>(197)</sup>، قال: «وكل ذلك دلالة على حدوثه»<sup>(198)</sup>. وقال في قوله: (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون) (الواقعة: 77-79): «كل هذا لا يليق بالقديم لا حقيقة ولا مجازاً»<sup>(199)</sup>.

وقال في قوله تعالى: (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها) (النمل: 8): «إن الآية تدل على حدوث النداء؛ لأن ظاهره يقتضي أن النداء بعد المجيء، فإذا كان النداء كلامه وهو محدث بطل قول من قال: إنه قديم»<sup>(200)</sup>.

وهذا يوافق ما ذهب إليه الزمخشري من مفسري المعتزلة. فقد قال في تفسير قوله تعالى: (إننا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) (الزخرف: 3): «(جَعَلْنَاهُ) بمعنى صيرناه، معدى إلى مفعولين. أو بمعنى: خلقناه معدى إلى واحد، كقوله تعالى: (وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) (الأنعام: 1). و (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) حال. ولعل: مستعار لمعنى الإرادة؛ لتلاحظ معناها ومعنى الترجي، أي: خلقناه عربياً غير عجمي؛ إرادة أن تعقله العرب، ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته»<sup>(201)</sup>.

وهذا القول منكر، وقد نبه أبو حيان على اعتزالية الزمخشري هنا فقال: «وهو على طريقة

(194) مفتاح السعادة لعلبي بن محمد بن يحيى العجري (ص 1235-1236).

(195) المرجع السابق (ص 1235-1246).

(196) الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير لعدنان محمد زرزور (ص 183).

(197) نفس المرجع السابق.

(198) نفس المرجع السابق.

(199) المرجع السابق (ص 183-184).

(200) المرجع السابق (ص 184).

(201) تفسير الكشاف للزمخشري (240/4).

الاعتزال في كون القرآن مخلوقاً»<sup>(202)</sup>.

وفي روح المعاني أنكر الاستدلال بالآية على أن القرآن مخلوق، ثم أورد أثراً عن ابن عباس في ذلك؛ قال: «وأخرج ابن مردويه عن طاوس قال: جاء رجل إلى ابن عباس من حضرموت فقال له: يا ابن عباس، أخبرني عن القرآن؛ أكلام من كلام الله تعالى، أم خلق من خلق الله سبحانه؟ قال: بل كلام من كلام الله تعالى، أو ما سمعت الله سبحانه يقول: (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)، فقال له الرجل: أفرايت قوله تعالى: (إنا جعلناه قرآناً عربياً)؟ قال: كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ بالعربية، أما سمعت الله تعالى يقول: (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ)»<sup>(203)</sup>.

وفي تفسير روح البيان: «(إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا)؛ فإن قلت: هذا يدل على القرآن مجعول، والمجعول مخلوق، وقد قال عليه السلام: «القرآن كلام الله غير مخلوق»؟ قلت: المراد بالجعل هنا تصيير الشيء على حالة دون حالة، فالعنى: إنا صيرنا ذلك الكتاب قرآناً عربياً بإنزاله بلغة العرب ولسانها، ولم نصيره أعجماً بإنزاله بلغة العجم، مع كونه كلامنا وصفتنا، قائمة بذاتنا، عرية عن كسوة العربية، منزهة عنها، وعن توابعها»<sup>(204)</sup>.

وفي كتاب إعراب القرآن: «كانت المعتزلة تقول بنفي صفات المعاني عن الله تعالى، ومنها الكلام، لأن إثباتها يؤدي إلى التشبيه وإلى تعدد القديم وذلك يناه في التوحيد، وكان من النتائج اللازمة لذلك أن قالوا: بأن القرآن كلام الله مخلوق، قال صاحب المواقف: قالت المعتزلة: كلامه تعالى أصوات وحروف؛ لكنها ليست قائمة بذاته بل يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ أو جبريل أو النبي وهو حادث. وليست المعتزلة أول من قال يخلق القرآن، كما أنهم ليسوا أول من أنكر الصفات، بل إن أول من عرف بالقول بخلقه الجعد بن درهم بدمشق، وهو مؤدب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وأخذ عنه ذلك القول جهنم بن صفوان الترمذي زعيم فرقة الجهمية الجبرية، فقال بخلقه إذ إن الجهمية تنكر الصفات، وذكروا أن بشر بن غياث المريسي، وهو زعيم المريسية من فرق المرجئة، قال أيضاً بخلق القرآن في عصر الرشيد، ونهاه أبو يوسف عن ذلك فلم ينته، فهجره وطرده من مجلسه وقال: لا تنتهي أو تفسد خشبة - يريد الصلب - وما بلغ ذلك الرشيد قال: علي إن أظفرتني الله به أن أقتله، وظل بشر مختفياً طول خلافة الرشيد، ولم يظفر به مع شدة طلبه له، وذكروا أيضاً أن حفصا الفرد، وهو من أكابر المجبرة، قال بذلك القول، وأن الشافعي ناظره وكفره، وكان الناس في تلك المسألة في عصر الرشيد بين أخذ وترك، حتى ولي المأمون فقال بخلقه، وكان من أشد نصراء الاعتزال، ويطول بنا القول إن عمدنا إلى نقل مجريات هذه الفتنة فارجع إليها في مظانها الكثيرة إن شئت»<sup>(205)</sup>.

وقال ابن تيمية: «وكذلك قوله: (جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) (الزخرف: 3) لم يقل: جعلناه فقط، حتى يظن أنه بمعنى خلقناه، ولكن قال: (جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) أي: صيرناه عربياً؛ لأنه قد كان قادراً على أن ينزله عجمياً، فلما أنزله عربياً كان قد جعله عربياً دون عجمي، وهذه المسألة من أصول أهل الإيمان

(202) تفسير البحر المحیط لأبي حيان (2/8).

(203) روح المعاني للألوسي (64/25).

(204) تفسير روح البيان لإسماعيل حقي (268/8).

(205) إعراب القرآن وبيانه (62/9).

والسنة التي فارقوا بها الجهمية من المعتزلة والفلاسفة ونحوهم»<sup>(206)</sup>.

كما رد عليه جميع من صنف في العقائد من غير المعتزلة، والمسألة أشهر من أن يتوسع فيها بذكر الردود على من خالف مذهب أهل الحق، وشهرتها التاريخية كافية في الرد على من يقول بها. والله أعلم.

## المطلب الثاني: اتفاق الزيدية والمعتزلة في تفسير الآيات المتعلقة بالصفات

تمهيد:

سبق أن بينا أن المذهب الزيدي أخذ أصوله من المعتزلة، ولذلك لا عجب أن تجد ن مذهب الزيدية في باب صفات الله نفس مذهب المعتزلة. وقد ذكر هذه الحقيقة الإمام الذهبي<sup>(207)</sup> في كتابه العرش، قال: «المعتزلة تجمع على غاية واحدة، وهي نفي إثبات الصفات حقيقة في الذات وتمييز عنها»<sup>(208)</sup>، إلى أن قال: «وهذه الأراء للمعتزلة حملها عنهم الزيدية والرافضة الإمامية والاباضية وابن تومرت وابن حزم. فالمعتزلة يرون امتناع قيام الصفات به؛ لاعتقادهم أن الصفات أعراض، وأن قيام العرض به يقتضي حدوثة، فقالوا حينئذ: إن القرآن مخلوق، وإنه ليس لله مشيئة قائمة به، ولا حب ولا بغض، ونحو ذلك. وردوا جميع ما يضاف إلى الله إضافة خلق أو إضافة وصف من غير قيام معنى به»<sup>(209)</sup>.

وقال أيضاً: «فالرافضة الإمامية وكذلك الزيدية على عقيدة المعتزلة في مسائل الصفات إلى يومنا هذا»<sup>(210)</sup>.

بل قال القبلي<sup>(211)</sup>: «كالزيدية في هذا الجبل من اليمن هم معتزلة في كل الموارد إلا في شيء من مسائل الإمامة، وهي مسألة فقهية، وإنما عدها المتكلمون من فتنهم لشدة الخصام، كوضع بعض الأشاعرة المسح على الخفين في مسائل الكلام. والمخالف في مثل هذه المسائل لا ينبغي أن يعد فرقة»<sup>(212)</sup>. ولعل ما يقرب بينهما هو الخروج، وذلك أن الزيدية يرون أنهم أحق بالإمامة، والمعتزلة يرون الخروج على أئمة الجور»<sup>(213)</sup>.

(206) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير) (1/446).

(207) الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، حافظ، مؤرخ، علامة محقق. تركماني الأصل، من أهل ميفارقين، مولده ووفاته في دمشق، ولد سنة (673هـ). رحل إلى القاهرة، وطاف كثيراً من البلدان، وكف بصره سنة (741هـ)، توفى سنة (748هـ). تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المائة، واختصر كثيراً من الكتب. الأعلام للزركلي (326/5).

(208) العرش للذهبي (1/95).

(209) المرجع السابق (1/96).

(210) المرجع السابق (1/131).

(211) صالح القبلي: صالح بن مهدي بن علي القبلي، مجتهد، من أعيان الفقهاء. ولد في قرية مقبل في جهة لاعة من بلاد كوكبان باليمن في الشمال الغربي من صنعاء سنة (1047هـ)، ونشأ في تلا وتعلم فيها وفي كوكبان. وكان على مذهب الإمام زيد، فنبذ التقليد. وناظره بعض المشايخ بصنعاء، فأدت المناظرة إلى المنافرة. فعاف المقام باليمن، فرحل بأهله إلى مكة سنة (1080هـ)، فاشتهر، وكتب فيها مؤلفاته، وتوفى بها سنة (1108هـ)، وله عدة كتب وكان كثير الحط على المعتزلة في بعض المسائل الكلامية، وعلى الأشعرية في بعض آخر، وعلى الصوفية في غالب مسائلهم، وعلى المحدثين في نواح لم يرتضها، ولا يبالي بمن يخالفه حين يجد الدليل كائناً من كان. الأعلام للزركلي (3/197).

(212) العلم الشامخ لصالح القبلي (ص 12)، نقلًا عن كتاب: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لابن أبي الخير بن سالم العمراني (1/73).

(213) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لابن أبي الخير بن سالم العمراني (1/73).

وقال الشهرستاني: «أما في الأصول فيرون<sup>(214)</sup> رأي المعتزلة حذو القذة بالقذة، ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيم أئمة أهل البيت»<sup>(215)</sup>.

وسبق أن ذكرنا سؤال العلامة محمد حسين الذهبي للقاضي محمد بن عبد الله العامري الزيدي عن عدم اهتمام الزيدية بطبع كتبهم في التفسير، وأنه أجابه أن كل اعتماد الزيدية في التفسير على كتاب الكشاف للزمخشري. ومن يطالع كتاب الكشاف يجده يؤول أغلب الصفات إلا ما ندر.

وكذلك من يطالع كتاب التفسير للحاكم الجشمي يجد أنه قد حشا كتابه بكثرة النقل عن أئمة الاعتزال، وقد كتب في هذا الموضوع رسالة ماجستير بعنوان: «الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير» لعدنان محمد زرزور، وقد بين فيها كثرة تأويله لصفات الله عز وجل، وتقريره لأصول المعتزلة. بل مذهبهم في أسماء الله عز وجل هو إثبات الأسماء مجردة عن الصفات، وهذا يعني تعطيلها عن معانيها، قال الإمام الذهبي في كتابه العرش عند كلامه على درجات التعطيل: «القول الثالث: إثبات الأسماء مجردة عن الصفات، وهذا قول المعتزلة، ووافقهم عليه ابن حزم الظاهري. وتبع المعتزلة على ذلك الزيدية والرافضة الإمامية وبعض الخوارج»<sup>(216)</sup>.

فهذه نماذج من النقل تبين أن مذهب الزيدية في مسائل الاعتقاد هي مذهب المعتزلة حذو القذة بالقذة إلا في القليل النادر، وقد صرح بهذا الشهرستاني في الملل والنحل، فقال: «وأما في الأصول فيرون رأي المعتزلة حذو القذة بالقذة، ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت، وأما في الفروع فهم على مذهب أبي حنيفة، إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعي رحمه الله والشعبة»<sup>(217)</sup>.

وقال نصر الدين الهندي في قوله: «وأكثر الزيدية غير الفرقة الأولى»<sup>(218)</sup> يتبعون المعتزلة في الأصول إلا في مسائل معدودة، كمسألة الإمامة، وأن صاحب الكبيرة كافر نعمة فاسق، ويوافقون أبا حنيفة في الفروع، وبعضهم يتبعون الشافعي فيها، إلا في بعض مسائل يروونها عن أئمتهم»<sup>(219)</sup>.

وقال أيضاً: «وأما الزيدية فلم يكن لهم كتاب في أول الأمر، لا في الأصول ولا في الفروع، وكانوا يتبعون المعتزلة في المسائل الأصولية، وفي الفروع أكثرهم يتبع أبا حنيفة، والقليل منهم يتبع الإمام الشافعي، وكانت لهم روايات عن أئمتهم في الفروع توافق مذهب الإمام أبي حنيفة والإمام الشافعي، لكنها قليلة جداً، وبعض المسائل في الأصول، ثم اجتهد بعض علمائهم في الفروع، وخالف الإمام أبا حنيفة والإمام الشافعي في مسائل معدودة»<sup>(220)</sup>.

وقال الدكتور مصطفى الشكعة: «أما المعتزلة فقد اندثر حزبهم كمذهب قائم بذاته، فلم نعد في عصرنا الحديث نسمع عن الواصلية أو الهذيلية أو النظامية أو الجاحظية أو البشرية أو الجبائية، إلى

(214) يعني: الزيدية.

(215) الملل والنحل للشهرستاني (1/162).

(216) العرش للذهبي (1/82).

(217) الملل والنحل للشهرستاني (1/162).

(218) أي: الغلاة.

(219) السيوف المشرفة ومختصر الصواعق المحرقة للأوسى (مختصر لكتاب: الصواعق المحرقة لإخوان الشياطين والزندقة لنصر الله الهندي المكي) (ص 286).

(220) المرجع السابق (ص 303).

غير ذلك من المدارس الاعتزالية الفرعية، وإنما ذاب المذهب في تعاليم الشيعة الإمامية والشيعة الزيدية، بحيث أخذ المذهبان أطياب ما عند المعتزلة من أفكار، واطرحا ما قد توسط فيه علماء الاعتزال من تطرف واندفاع»<sup>(221)</sup>.

وبين الشهرستاني أن السبب في كون الزيدية على مذهب المعتزلة هو: أن زيد بن علي الذي تنسب الزيدية إليه تتلمذ لواصل بن عطاء المعتزلي، وأخذ الأصول عنه، فلذلك صارت الزيدية كلهم معتزلة<sup>(222)</sup>. وسأذكر هنا نماذج من الصفات يتبين فيها توافق الزيدية مع المعتزلة:

#### أولاً: صفة العلو:

صفة العلو من الصفات الثابتة لله تعالى، ولكن المعتزلة يتأولونها على أنها علو القدر والعظمة والقهر، ويوافقهم على ذلك الزيدية، بل جمهور مفسري الأمة وأئمتها على هذا، فلا يذكرون لها غير هذا المعنى، سوى بعض المجسمة والمشبهة الذين لا يعتد بهم، ممن يثبتون الجهة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

لكن المقصود بذكر هذه الصفة بيان توافق الزيدية وأهل الاعتزال في تفسيرهم لآيات الصفات: قال تعالى: (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) (الحج: 62). وقال تعالى: (عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ) (الرعد: 9).

قال الأعظم من الزيدية: «المتعال: المستعلي على كل شيء بقدرته»<sup>(223)</sup>.

وقال الزمخشري من المعتزلة: «المتعال: المستعلي على كل شيء بقدرته، أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها»<sup>(224)</sup>.

فاقتصرا رحمهما الله تعالى على هذا المعنى فقط لاسم الله «المتعال»، واقتصارهما على هذا المعنى فقط للعلو يوهم أنهما رحمهما الله تعالى يؤولان معنى علو الله تعالى بالقهر. وإلى هذا التأويل ذهب جمهور المفسرين، قال أبو السعود: «المتعال: المستعلي على كل شيء بقدرته، أو المنزه عن نعوت المخلوقات»<sup>(225)</sup>.

وقال الإمام الخازن: «المتعال يعني: المنزه عن صفات النقص المتعالي عن الخلق، وفيه دليل على أنه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وتنزيهه عن جميع النقائص»<sup>(226)</sup>.

وذهب غيرهم من المفسرين إلى أن هذا المعنى لاسم الله عز وجل «المتعال» هو أحد معانيه فقط، وأنه يدل على صفة الذات وصفة الفعل معاً، فجميع معاني العلو ثابتة لله عز وجل من كل وجه، فله سبحانه علو الذات وعلو القدر وعلو القهر، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «قال<sup>(227)</sup> في وصف نفسه

(221) إسلام بلا مذاهب (ص 619). نقلاً عن: موسوعة الفرق المنسوبة للإسلام لمجموعة من الباحثين (158/4).

(222) الملل والنحل للشهرستاني (1/29).

(223) تفسير الأعظم (1/324).

(224) الكشف للزمخشري (2/516).

(225) تفسير أبي السعود (8/5)، وانظر: تفسير البغوي (8/3)، وتفسير الأيجي (2/263)، وتفسير البيضاوي (3/182).

(226) تفسير الخازن (7/3)، وانظر: تفسير القرطبي (9/289).

(227) أي: الله سبحانه وتعالى.

جل وعلا بالعلو والعظم والكبر: (وَلَا يُؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (البقرة: 255)، (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا) (النساء: 34)، (عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ) (الرعد: 9)»<sup>(228)</sup>.

وقال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ( وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ) (الشورى: 4): «وصف نفسه جل وعلا في هذه الآية الكريمة بالعلو والعظمة»<sup>(229)</sup>، إلى أن قال رحمه الله تعالى: «وما تضمنته هذه الآية الكريمة من وصفه تعالى نفسه بهاتين الصفتين الجامعتين المتضمنتين لكل كمال وجلال جاء مثله في آيات أخر، كقوله تعالى: (وَلَا يُؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (البقرة: 255)، (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا) (النساء: 34)، (عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ) (الرعد: 9)»<sup>(230)</sup>.

وقال في أنوار الهلالين في التعقبات على الجلالين: «قال المصنف<sup>(231)</sup>: المتعال على خلقه بالقهر. قلت<sup>(232)</sup>: هذا أحد معاني العلو الثابتة له سبحانه، فهو المتعالي على كل شيء يقهره، والمتعالي عن كل سوء ونقص بكماله، والمتعالي بذاته فوق خلقه، فالله تعالى هو المتعال بأنواع ثلاثة: فلا يجوز قصر المتعال على نوع واحد»<sup>(233)</sup>.

وهذا التفسير وإن كان محسباً على أهل السنة والجماعة؛ لكنه أقرب إلى التشبيه منه إلى السنة، والله أعلم.

### ثانياً: تأويل صفة الغضب:

الزيدية تؤول صفة الغضب كغيرها من الصفات، ولا تثبتها حقيقة، قال العجري من الزيدية: «اختلف العلماء في معنى الغضب إذا أسند إلى الله تعالى، فقال الإمام القاسم بن محمد عليه السلام وأتباعه: هو الحكم باستحقاق العذاب قبل وقته وإيصاله إليه في وقته؛ إذ لا يصح في حقه تعالى معناه الحقيقي؛ لأنه عرض، والله تعالى لا تحله الأعراض، فيكون مجازاً علاقته السببية، إذ الغضب سبب في الحكم والإيصال.

وقالت المعتزلة ومن تبعهم من الزيدية: بل هو بمعنى كراهة نضحه وإرادة مضرته، هكذا ذكره الإمام المهدي عليه السلام، وقال التجري: هذا إنما هو في الشاهد، وأما في التقديم تعالى فليس معناه إلا الإرادة؛ إذ لا يكره الله عقاب الأنبياء ولا ثواب الكفار، إذ لا يكره القبيح من فعله لعدم الفائدة فيها، هذا حاصل ما ذكره»<sup>(234)</sup>.

وجاء في مطالع الأنوار: «الغضب في حق الله راجع إلى إرادته العقاب أو فعله»<sup>(235)</sup>.

وقال الزمخشري: «هو إرادة الانتقام من العصاة وإنزال العقوبة بهم، وأن يفعل بهم ما يفعله

(228) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي (25/2).

(229) المرجع السابق (38/7).

(230) نفس المرجع السابق.

(231) يعني: في الجلالين.

(232) يعني: مؤلف أنوار الهلالين في التعقبات على الجلالين.

(233) أنوار الهلالين في التعقبات على الجلالين لمحمد بن عبد الرحمن الخميس، ص (17).

(234) مفتاح السعادة لعلي بن محمد بن يحيى العجري، ص (897).

(235) مطالع الأنوار على مشارق الآثار لإبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي (108/1).



الملك إذا غضب على من تحت يده» (236).

وبمثل هذا التأويل أول صفة الغضب أيضاً عدد من العلماء الأعلام (237).

وذهب فريق آخر من المفسرين إلى إجراء صفة الغضب على ظاهرها، ومن ما جاء في محاسن التأويل: «الغضب صفة وصف الله تعالى نفسه بها، وليس غضبه كغضبنا، كما أن ذاته ليست مثل ذواتنا، فليس هو مماثلاً لأبداننا ولا لأرواحنا، وصفاته كذاته. وما قيل: إن الغضب من الانفعالات النفسانية فيقال: نحن وذواتنا منفصلة، فكونها انفعالات فينا لا يجب أن يكون الله منفصلاً بها، كما أن نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين، وصفاته كذلك ليست كصفات المخلوقين، ونسبة صفة المخلوق إليه كنسبة صفة الخالق إليه، وليس المنسوب كالمنسوب، والمنسوب إليه كالمنسوب إليه» (238).

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى: «واعلم أن الغضب صفة وصف الله بها نفسه إذا انتهكت حرماته، تظهر آثارها في المغضوب عليهم. نعوذ بالله من غضبه جل وعلا. ونحن معاشر المسلمين نمرها كما جاءت، فنصدق ربنا في كل ما وصف به نفسه، ولا تكذب بشيء من ذلك، مع تنزيهنا التام له جل وعلا عن مشابهة المخلوقين، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً» (239).

ثالثاً: تأويل صفة العين والرؤية:

قال الأعقم عند تفسير قوله تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه: 39): «أي: لتغذى على محبتي وإرادتي» (240).

وقال في قوله تعالى: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) (الطور: 48): «أي: بحفظنا» (241). وهناك من الزيدية من قال في قوله تعالى: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) (الطور: 48): «معناه: بحفظنا وكلاءتنا» (242).

وقال: «(فإنك بأعيننا) (الطور: 48) الأعين تحتل وجهين: إما أن يكون أراد: بعلمنا، وإما أن يكون أراد: فإنك بأعين رسلنا الذين وكلهم الله بحفظ الأعمال، والعرب تقول: جعلنا عليهم عيوناً يحفظون أعمالهم» (243).

وقال في المصابيح الساطعة الأنوار في تفسير قوله تعالى: (أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) (العلق: 14): «وتأويل رؤية الله فهو علم الله» (244).

وهو نفس تفسير المعتزلة؛ قال الزمخشري: «(عَلَى عَيْنِي) (طه: 39): لتربى ويحسن إليك، وأنا مراعيك وراقبك، كما يراعى الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به، وتقول للصانع: اصنع هذا على عيني:

(236) فتح القدير للشوكاني (29/1).

(237) وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي (68/3)، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشهاب الدين القسطلاني (329/5).

(238) محاسن التأويل للقاسمي (350/1).

(239) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (76/4).

(240) تفسير الأعقم (403/1).

(241) المرجع السابق (178/2).

(242) سورة الطور، ص (1).

(243) المرجع السابق، ص (2).

(244) المصابيح الساطعة الأنوار لعبد الله بن أحمد الشريفي، ص (218).

انظر إليك؛ لئلا تخالف به عن مرادي وبغيّتي»<sup>(245)</sup>.

وقال في قوله تعالى: (فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) (الطور: 48): «مثل، أي: بحيث نراك ونكلوك، وجمع العين لأن الضمير بلفظ ضمير الجماعة، ألا ترى إلى قوله تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه: 39)»<sup>(246)</sup>.  
وممن أول هذه الصفة من المفسرين: سهل التستري، فقد قال في تفسير قوله تعالى: (فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) (الطور: 48): «يتولى جملتك بالرعاية والكلاءة والرضى والمحبة والحراسة من الأعداء»<sup>(247)</sup>.  
وقال ابن عطية رحمه الله تعالى: «(عَلَى عَيْنِي) (طه: 39) معناه: بمرأى مني وأمر مدرك مبصر مراعى»<sup>(248)</sup>. وقال في قوله تعالى: (فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) (الطور: 48): «معناه: بإدراكنا وأعين حفظنا وحيطتنا، كما تقول: فلان يرعاه الملك بعين»<sup>(249)</sup>.

وقال فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى: «قال القفال: لتري على عيني، أي: على وفق إرادتي، ومجاز هذا أن من صنع لإنسان شيئاً وهو حاضر ينظر إليه صنعه له كما يحب، ولا يمكنه أن يفعل ما يخالف غرضه، فكذا هاهنا، وفي كيفية المجاز قولان: الأول: المراد من العين العلم، أي: ترى على علم مني، ولما كان العالم بالشيء يحرسه عن الأفات كما أن الناظر إليه يحرسه عن الأفات أطلق لفظ العين على العلم؛ لاشتباههما من هذا الوجه. الثاني: المراد من العين الحراسة؛ وذلك لأن الناظر إلى الشيء يحرسه عما يؤذيه، فالعين كأنها سبب الحراسة، فأطلق اسم السبب على المسبب مجازاً»<sup>(250)</sup>.

هذا وقد ذهب بعض الزيدية إلى إثبات صفة العين لله عز وجل، ومنهم مقاتل بن سليمان رحمه الله تعالى، فقد جاء عنه في تفسير قوله تعالى: (فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) (الطور: 48): «يقول: إنك بعين الله تعالى»<sup>(251)</sup>.

وأيضاً أثبت الشوكاني رحمه الله تعالى هذه الصفة لله عز وجل عند تفسيره قوله تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه: 39)، فقال: «أي: ولتربي وتغذى بمرأى مني»<sup>(252)</sup>.  
وقال الحاكم الجشمي عند تفسيره لقوله تعالى: (أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) (العلق: 14): «إنه يدل على أنه تعالى يرى الأشياء، وحقيقته جائز، فلا معنى للعدول عن الظاهر، خلاف ما تقوله البغدادية بأن معناه يعلم»<sup>(253)</sup>.

وقال: (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (الشعراء: 218-220): «قوله: «يراك» يدل على أنه تعالى يرى الأشياء، ويدل قوله: «السميع العليم» على أنه سميع؛ إذ لو

(245) الكشاف للمخشي (63/3).

(246) المرجع السابق (415/4).

(247) تفسير التستري لسهل التستري، ص (155).

(248) تفسير ابن عطية لابن عطية (44/4).

(249) المرجع السابق (194/5)، وانظر: إيجاز البيان لأبي القاسم النيسابوري (547/2)، غريب القرآن الكريم لابن الجوزي، ص (229).

(250) التفسير الكبير للرازي (49-48/22).

(251) تفسير مقاتل (150/4).

(252) فتح القدير للشوكاني (431/3).

(253) الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير لعبدان محمد زرزور، ص (13-12).

أن السميع معناه العالم لكان تكراراً، وذلك يبطل قول البغدادية<sup>(254)</sup>.

وممن أثبت هذه الصفة من المفسرين قتادة، فقد روي عنه في تفسيره: (وَلْتَصْنَعْ عَلَيَّ عَيْنِي) (طه: 39) قال: «ولتغذى على عيني»<sup>(255)</sup>.

وقال الطبري في تفسيره: (فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) (الطور: 48): «يقول جل ثناؤه: فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين»<sup>(256)</sup>. وقال: «وعنى بقوله: (عَلَى عَيْنِي) (طه: 39) بمرأى مني ومحبة وإرادة»<sup>(257)</sup>.

وقال الزجاج في تفسيره: (فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) (الطور: 48): «أي: فإنك بحيث نراك ونحفظك ونرعاك، ولا يصلون إلى مكروهك»<sup>(258)</sup>.

وقال البغوي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: (وَلْتَصْنَعْ عَلَيَّ عَيْنِي) (طه: 39): «أي: لتربى بمرأى ومنظر مني»<sup>(259)</sup>. وقال في تفسير قوله تعالى: (فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) (الطور: 48): «أي: بمرأى منا»<sup>(260)</sup>. وحكى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «نرى ما يعمل بك»<sup>(261)</sup>.

## الخاتمة :

وبهذا نكون قد انتهينا من دراسة نماذج من إتفاق الزيدية والمعتزلة في تفسير الآيات المتعلقة بالعقيدة، والتي يمكن أن نخلص منها إلى النتائج التالية:

- 1 - أن أتباع المذهب الزيدي لم يعتنوا بالتأليف في مجال التفسير كاعتنائهم بعلوم الشريعة الأخرى.
- 2 - تفسيراً فرات الكوفي والحسين بن الحكم ينتهجان التأويل الرافضي لآيات القرآن، ولا يمكن اعتبارهما زيديين.
- 3 - الزيدية في مسائل العقائد يوافقون المعتزلة إلا المسائل المتعلقة بالتشيع لأهل البيت.
- 4 - أن الزيدية يوافقون المعتزلة في مسائل الإيمان، ويتمشون على نهجهم في كل جزئية منها.
- 5 - اعتمد الزيدية على القول بزيادة الإيمان دون نقصانه بالآيات الدالة على الزيادة، وعدم ورود النقصان منه في القرآن الكريم، ووافقوا في ذلك المعتزلة.
- 6 - أدخل الزيدية كلام الله ضمن مدلول آيات الخلق العامة، كقوله تعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)، وبهذا وافقوا المعتزلة في القول بخلق القرآن.
- 7 - عند النظر في أدلة الزيدية وأدلة أهل السنة نجد استدلالات أهل السنة أوضح وأرجح.

(254) المرجع السابق، ص (13).

(255) تفسير عبد الرزاق الصنعاني (371/2).

(256) تفسير الطبري (488/22).

(257) تفسير الطبري (304/18).

(258) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (68/5).

(259) تفسير البغوي للبغوي (261/3).

(260) المرجع السابق (296/4).

(261) نفس المرجع السابق، وانظر: تفسير القرطبي (78/17).

- 8 - يتفق الزيدية مع المعتزلة في مسائل الصفات، فلم يشبثوها لله سبحانه على الوجه اللائق به.
- 9 - لا يقتصر تأويل الصفات على المفسرين من المعتزلة والزيدية، بل وافقهم في ذلك كثير من المفسرين المنتسبين لأهل السنة والجماعة.
- والحمد لله رب العالمين.